دراسة

بيتر كريغ

أوغاريت والعهد القديم

ترجمة: فراس السواح

مكتبة الفكر الجديد
15-06-2017

دار ممدوح عدوان للنشر و التوزيع

الفكر الجديد

أوغاريت والعهد القديم

أثر الأدب الأوغاريتي على الدراسات التوراتية

مكتبة
الفكر الجديد

دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع

أوغاريت والعهد القديم

Ugarit and the Old Testament

أثر الأدب الأوغاريتي على الدراسات التوراتية

تأليف: بيتر كريغ

by: Peter C. Craigie

ترجمة: فراس السواح

التدقيق اللغوي: عمر الخولي

الإخراج: فايز علام

تصميم الغلاف: ليلى شعيب

ISBN: 978 - 9933 - 540 - 17 - 3

الطبعة الأولى: 2016

دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع

سوريا - دمشق - ص ب: /9838/

هاتف-فاكس: /6133856/ 11 00963

جوال: 00971557195187

البريد الإلكتروني: addar@mamdouhadwan.net

الموقع الإلكتروني: addar.mamdouhadwan.net

twitter.com/AdwanPH fb.com/Adwan.Publishing.House

© 1983 by Wm. B. Eerdmans Publishing Company

جميع حقوق الترجمة العربية محفوظة للناشر دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع. لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو أو بأية طريقة دون موافقة الناشر الخطية.

مكتبة الفكر الجديد

بيتر كريغ

أوغاريت والعهد القديم

أثر الأدب الأوغاريتي على الدراسات التوراتية

ترجمة: فراس السواح

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر الجديد

فهرس المحتويات

الفصل الأول: نظرة جديدة على عالم الكتاب المقدس 7
الفصل الثاني: اكتشاف مدينة جديدة 13
الفصل الثالث: الحياة في أوغاريت 39
الفصل الرابع: اللغة والأدب 65
الفصل الخامس: العهد القديم والدراسات الأوغاريتية 99
الفصل السادس: اكتشافات جديدة وآفاق مستقبلية
إيبلا ورأس ابن هاني 135
الفصل السابع: مرشد لمزيد من الدراسة والاطّلاع 153

مكتبة الفكر الجديد

الفصل الأول

نظرة جديدة على عالم الكتاب المقدس

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر الجديد

إن الكتاب المقدس ليس من حيث المبدأ وثيقةً عصيّة على القراءة، كما أنه واضحٌ من حيث الجوهر والرسالة. وعلى الرغم من أنه كُتب في الأصل لكي يقرأه الشخص العادي، إلا أن القارئ الحديث يواجه مشكلةً لم يعرفها القارئ القديم للكتاب أو سامعه. ذلك أن تقادم السنين قد خلّف فجوةً زمنية تُقدّر بالقرون المديدة بين النص وقارئه الحديث، وهي فجوةٌ تزداد اتساعاً بقدر ما يزداد العالم الحديث اختلافاً جذرياً عن ذلك العالم الذي دُوّن فيه النص، وتجعل من الصعب على إنسان هذا القرن إذا قرأ الكتاب المقدس أن يفهمه بتمامه. هذه الصعوبة تواجهنا في قراءة قسمي الكتاب، أي «العهد القديم» أو التوراة، و«العهد الجديد» أو الأناجيل الأربعة وبقية الأسفار المقدسة المسيحية، إلا أنها تتجلى بشكلٍ أوضح فيما يتعلق بالعهد القديم، الذي ينتمي إلى عصرٍ يبعد عنا بنحو ثلاثة آلاف عام.

هذا، وتزداد مشكلة الهوة الزمنية حدةً عندما تُضاف إليها مشكلات أخرى مثل مشكلة اللغة ومشكلة اختلاف الثقافة. فنحن اليوم نتكلم بهذه اللغة الحديثة أو تلك، ولكن لغاتٍ مثل الآرامية أو العبرية الكلاسيكية غير مألوفةٍ لدينا. أما ثقافتنا، فعلى الرغم من أنها تأثرت إبان تكونها بالموروث الكتابي، إلا أنها في صيغها الراهنة تحجبنا بشكلٍ ما عن عالم الكتاب المقدس. فإذا افترضنا، على طريقة الخيال العلمي، حدوث التواءٍ في الزمن أدى إلى دخول شخصياتٍ من عالم الكتاب المقدس في عالمنا بشكلٍ مؤقت، فإنهم سيشعرون بالضياع بشكلٍ تام، والعكس صحيح.

مكتبة الفكر الجديد

إن كل قارئٍ حديث لكتاب العهد القديم يواجه مشكلةً تتعلق بعبور الفجوات التي تفصل العالم القديم عن العالم الحديث. ونحن إذا لم نبذل المجهود الكافي في سبيل ذلك، فإن قلة معرفتنا بلغة وثقافة الكتاب سوف تساهم في عدم فهمنا لرسالته، لأن هذه الرسالة التي من المفترض أن تكون خالدة من حيث جوهرها، إلا أنها في نهاية المطاف زمنية وتاريخية من حيث شكلها ومبناها، وطالما بقينا على غير معرفةٍ تامة بهذا الشكل، فإننا لن ندرك بساطتها وقوتها.

هذه المعضلة التي يواجهها القارئ الحديث تبدو مقلقةً للوهلة الأولى، حتى لكأن مولدنا في هذا القرن هو بمثابة عثرةٍ لنا، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالأجيال اللاحقة التي ستكون أبعد منا زمنياً عن عصر الكتاب المقدس. ولكننا عندما ندرك أبعاد مشكلة الهوة الزمنية، فإننا نأخذ بالتفتيش عن علاجٍ لها.

فيما يتعلق بالقراءة بشكلٍ عام، يعتمد مدى فهمنا لما نقرأ على حصيلتنا المعرفية في الحقل الذي نقرأ فيه. فإذا دخل أحدنا مكتبةً ما وأخرج من الرف كتابين باللغة الإنكليزية في موضوعين مختلفين، فإن مقدرته على استيعاب محتوياتهما تتوقف إلى حدٍّ كبير على طبيعة خلفيته الثقافية. فإذا كان أحد الكتابين روايةً لكاتبٍ أميريكي تجري أحداثها في ولاية فلوريدا، فإن القارئ الأميريكي العادي مزوّدٌ بطبيعته بخلفيةٍ تؤهله لفهم مجريات الرواية حتى وإن لم يكن قد زار فلوريدا أو عرف الكثير عن أحوالها العامة. ولكن إذا كان الكتاب الثاني كتاباً في الحكمة الصينية، فإن القارئ العادي سيلقى عناءً في استيعابه، على الرغم من أنه مترجمٌ بلغة إنكليزية فائقة الوضوح والدقة، إذا لم تكن لديه معرفةٌ مسبقة بتاريخ وفكر الصين على مدى الألفيتين الماضيتين. ولهذا، فإن من الخطأ أن نظن أن قراءة «العهد القديم» أمرٌ أشبه بقراءة الأدب الحديث، انطلاقاً من اعتقادنا

مكتبة الفكر الجديد

بامتلاك الأدوات التي تخولنا فهمه لمجرد أن اللغة الكتابية قد صارت من خلال الترجمة مألوفةً لدينا. والحقيقة هي أن مقاربتنا للكتاب المقدس هي أشبه بمقاربتنا لكتاب الحكمة الصينية، لأن الاثنين قد وفدا إلينا من عالمٍ قديمٍ ومختلف.

إن المشكلة لا تكمن في نص «العهد القديم» نفسه، وإنما في افتقارنا إلى المعارف العامة التي تُسهل علينا قراءته واستيعابه. ولعل الوسيلة الوحيدة لمعالجة هذا الوضع هي مراكمة مخزون معرفي يعيننا على فهم ما نقرأه من كلمات، ولكن كيف نفعل ذلك؟ إن واحداً من الأجوبة الرئيسية عن هذا السؤال يأتينا من علم الآثار الحديث. فخلال القرنين الماضيين شهدنا مولد منظومةٍ معرفية تُدعى بعلم الآثار التوراتي، حملت على عاتقها تعريفنا بعالم الكتاب المقدس بطريقةٍ لم تكن ممكنةً تماماً فيما مضى من القرون. فالتنقيبات الأثرية التي بدأت بشكلٍ منهجي في القرن التاسع عشر، وبلغت طور النضج في القرن العشرين، وضعت في متناول القارئ ثروةً من المعلومات، وكشفت عن بُنى معمارية ولُقى أثرية ونقوش كتابية، وقدمت لنا المادة الخام التي نستطيع من خلالها إعادة بناء الوسط الفكري والمادي لأزمنة الكتاب المقدس، وردم الفجوات في معارفنا، وقراءة الكتاب المقدس بفهمٍ أكثر. ولكن هذا التطور الهائل في علم الآثار يضعنا في مواجهة مشكلةٍ جديدة، ذلك أن كمية المعلومات التي قدمها والتي تتزايد بشكلٍ مطرد، تفوق قدرة الاختصاصيين على متابعة ما يجري في هذه المنظومة المعرفية، فما بالك بغيرهم. وبتعبيرٍ آخر، نحن أمام حالة انفجارٍ في المعلومات إسوةً بما يجري في بقية المنظومات المعرفية في حضارة اليوم.

ولعل من نتائج هذا الانفجار المعلوماتي تقديم مستجدات الأبحاث الكتابية من خلال كتبٍ موجهة إلى القارئ العادي الذي بقي مع ذلك على

جهلٍ بخلفية ومصادر ما يُقدم إليه من معلومات. فمن النادر اليوم ألا نجد في الشروح والتعليقات على «العهد القديم» إشاراتٍ متعددةً إلى مواقع أثرية مثل موقع قُمران قرب البحر الميت، وموقع أوغاريت على الساحل السوري قرب مدينة اللاذقية. ولكن هذه المواقع تبقى مجرد أسماء في ذهن القارئ الذي ربما تاق إلى معرفة المزيد عنها. إن موقع قُمران، حيث تم اكتشاف مخطوطات البحر الميت، صار اسماً معروفاً إلى حدٍّ ما، أما موقع أوغاريت الذي لا يقل أهميةً عنه فيما يتعلق بالدراسات الكتابية، فلم يحظَ بالشهرة التي حظي بها قُمران على الرغم من أن اكتشافه قد ساهم إلى حدٍّ بعيد في إعادة ترجمة وتفسير الكثير من مقاطع وكلمات «العهد القديم». وهذا ما دعاني إلى وضع هذا الكتاب الصغير الذي يبحث في حضارة مدينة أوغاريت القديمة وميراثها. لقد كانت أوغاريت واحدةً من مدنٍ كثيرة ملأت عالم الكتاب المقدس، ولكن أهميتها تكمن في تلك الثروة من النصوص الأدبية التي أضافت الكثير إلى معلوماتنا عن عالم الكتاب المقدس، وإلى درجةٍ فاقت ما قدمه أي موقعٍ آخر في شرقي المتوسط، وساعدت على ملء الفجوة بين العالم القديم والعالم الحديث.

مكتبة الفكر الجديد

الفصل الثاني

اكتشاف مدينة ضائعة

في أحد الأيام الربيعية من عام 1928، كان الفلاح محمد ملَّا المقيم قرب خليج مينة البيضا على الساحل السوري الشمالي قرب مدينة اللاذقية، يمارس عمله الزراعي المعتاد عندما اصطدم محراثه بعثرةٍ تحت التربة. قام محمد ملَّا بتحرير العثرة من مكانها فوجدها عبارة عن بلاطة حجرية من صنع الإنسان، تغطي فوهة دهليز سفلي يؤدي إلى مدفن قديم. وعندما هبط إلى داخل المدفن عثر على عدد من القطع الأثرية القَيِّمة باعها إلى تاجر آثار. ولكنه لم يكن يدري أنه بفتحه الغطاء عن فوهة هذا المدفن، قد فتح باباً سوف يؤدي إلى اكتشف كبير الأهمية فيما يتعلق بتاريخ وحضارة الشرق القديم.

حاول محمد الملَّا التستر على اكتشافه، ولكن الأخبار ما لبثت أن تسربت ووصلت إلى الحاكم الفرنسي للمنطقة[1] م. شويفلر M. Schoeffler، من خلال تقرير رفعته الشرطة المحلية، وخبرٍ نقله إليه رجل أعمال يدعى م. برونوميشيل، يقيم في مدينة اللاذقية التي كانت عاصمة مناطقية في ذلك الوقت. لدى تلقيه هذه المعلومات قام الحاكم الفرنسي بإبلاغ المسألة إلى مدير شعبة الآثار لمنطقة سورية ولبنان شارل فيروللو Charles Virolleaud، الذي كان يشغل منصبه هذا منذ عام 1920، وكان على دراية حسنة بمنطقته، وعلى معرفة جيدة بموقع الاكتشاف، جعلته

(1) حصل الاكتشاف في منطقة دولة العلويين التي شكلها مجلس الحلفاء الأعلى عقب الحرب العالمية الأولى، وكانت مع بقية الدويلات السورية التي تشكلت بالطريقة نفسها، تحت الانتداب الفرنسي.

يدرك أهمية المسألة، ويقرر إجراء مزيد من التقصي بخصوصها. أرسل فيروللو أحد مساعديه المدعو ليون ألبانيز Lèon Albanèse. في رحلة قصيرة لفحص الموقع الذي اكتُشف فيه المدفن، فوصل إلى المكان في أواخر شهر آذار من عام 1928، ثم عاد ورفع تقريراً لم يكن مشجعاً تماماً. فلقد أعطى توصيفاً لتل يدعى رأس شمرا يقع على مبعدة عدة مئات من الأمتار عن شاطئ البحر، وأضاف إلى ذلك توصيفاً مكثفاً وموجزاً للمدفن، ولقطعتين أثريتين من الموقع يغلب عليهما الطابع القبرصي.

ولو قُيض للاستقصاءات اللاحقة أن تعتمد فقط تقرير ألبانيز هذا، لكان من الممكن للمسألة أن تنتهي عند هذا الحد. ولكن لحسن الحظ، كان هنالك عدد من الأسباب التي حثت على إجراء مزيد من الاستقصاءات. فمن ناحية أولى هنالك طبيعة المكان الذي حصل فيه الاكتشاف. فالاسم «مينة البيضا» يعني في اللغة العربية «الميناء الأبيض»، وعلى الرغم من أن هذا الخليج لم يكن مستخدماً كميناء في زمن الاكتشاف (عدا بعض قوارب الصيد التي تخص الصيادين المحليين)، إلا أن المكان كان بمثابة ميناء طبيعي، وهو عبارة عن خليج يتشكل مدخله من صخور بيضاء هي التي أعطته اسمه. وكان رينيه دوساد René Dussaud محافظ قسم الآثار المشرقية في متحف اللوفر، قد اقترح في كتاب له أن هذا المكان ربما كان الموقع الذي تدعوه المصادر الإغريقية باسم Leukos Limen، أي الميناء الأبيض. وبتعبير آخر، فإن هذا المكان المهجور في عام 1928 ربما أخفى وراءه ميناءً بحرياً كان نشطاً ومهماً على البحر المتوسط في غابر العصور.

على أن هنالك أسباباً أخرى دعت إلى مزيد من الاستقصاءات، وبينها قصص خرافية شائعة لدى السكان المحليين، بعضها يروي عن مدينة عظيمة قامت هنا في غابر الأزمان غنية بالذهب والفضة، ومن السعة بحيث

مكتبة الفكر الجديد

أن الدوران حول أسوارها يتطلب عدة أيام. ولربما كانت الاكتشافات العرضية للذهب والفضة في تلك الأرض هي التي روجت لمثل هذه الحكايات. كما كان السكان المعمرون في عام 1928 ما زالوا يتذكرون بألم حملات البحث عن الكنوز التي كانت تجري هنا بأمر السلطات العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر. كل هذه الشواهد مجتمعة كانت تشير إلى وجود شيء يستحق التنقيب عنه.

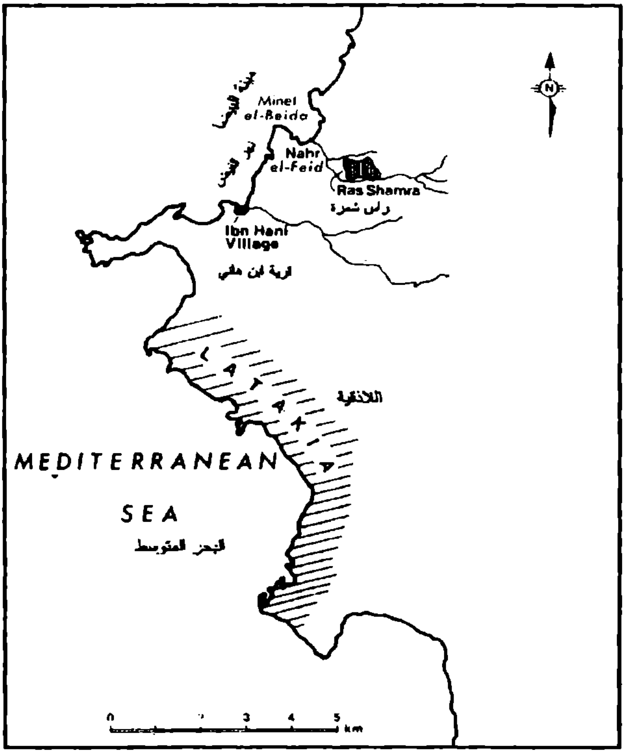

الشكل رقم (1): مواقع اللاذقية ورأس شمرا ومينة البيضا.

خلال شهور الشتاء بين عامي 1928 و1929، ابتدأت التحضيرات لإرسال فريق تنقيب أثري إلى مينة البيضا، يبدأ أعماله في ربيع عام 1929.

مكتبة الفكر الجديد

وقد تم اختيار كلود شيفر Claude F.A. Schaeffer لرئاسة الفريق، وكان حينذاك في الثلاثين من عمره، ويعمل في متحف الآثار المشرقية في ستراسبورغ- فرنسا. كما تم اختيار الآثاري الفرنسي الآخر جورج شينيت Goerge Chenet مساعداً للرئيس. وتشكلت العضوية من جان دي جيغهير Jean de Jaegher، وروجر فيزوزين Roger Vissuzaine، وبول بيرونين Paul Pironin، وجاك فاجارد Jacques Fagard. وكانت الحملة التنقيبية تحت رعاية أكاديمية باريس للآداب العالية والمنقوشات Accadèmi des Inscriptions et Belles Letters، وتلقت الدعم من وزارة التعليم الفرنسية، ومتحف اللوفر، ومن الحكومة المحلية في مدينة اللاذقية التي تبعد سبعة أميال إلى الجنوب من مينة البيضا.

وصل كلود شيفر وفريقه إلى اللاذقية نحو نهاية شهر آذار 1929، وجهزوا أنفسهم لقطع المسافة القصيرة والصعبة إلى موقع التنقيب. اعتقد شيفر في البداية أنه يستطيع استخدام السيارة لهذه الغاية، ولكنه ما أن قاد جزءاً من المسافة على أدرك استحالة الأمر على الرغم من قوة سيارته الأمريكية، فعاد وجهز قافلة صغيرة من سبعة جمال لحمل المؤن والمعدات، وانطلق مجدداً نحو مينة البيضا في يوم السبت الواقع في 30 آذار من عام 1929. يرافقه عدد من الفرسان السوريين لحمايته. وقبل المغادرة اتفق مع الجنرال دي بيجو دو غرانرو de Bigault du Granrut على أن يرسل في إثره مفرزة عسكرية قوامها عشرون جندياً لحراسة أعمال التنقيب.

عادت القافلة من مدينة البيضا بعد أن أوصلت شيفر وفريقه وأحمالهم. وفي الصباح التالي وصلت المفرزة العسكرية من اللاذقية. في يوم الاثنين أكمل الفريق استعداداته، وفي صباح الثلاثاء الواقع في 2 نيسان بدأ شيفر عملياته التنقيبية. ونظراً لعدم وجود عمال مع الفريق فقد ترك قسم كبير من

مكتبة الفكر الجديد

جنود المفرزة العسكرية بنادقهم واستبدلوها بالمعاول، تاركين عدداً قليلاً منهم للحراسة. ولكن فريق الحفر الصغير هذا أخذ بالتوسع تدريجياً بعد أن رفده عدد من السكان المحليين الذين نظروا بعين الشك في البداية إلى أعمال البعثة التنقيبية، ثم ما لبثوا أن تخلوا عن مخاوفهم عندما اطمأنوا إلى حصولهم على أجر معقول لقاء العمل.

بعد ثلاثة أيام فقط من التنقيب في مينة البيضا، وعند الزاوية الجنوبية الشرقية من الخليج، كان واضحاً لشيفر بأنه اكتشف منطقة مقابر تابعة لمدينة قديمة. وقد ابتدأت اللقى الأثرية بالظهور فور بدء العمل تقريباً، وعلى عمق قليل يتراوح بين القدمين والستة أقدام. وخلال بضعة أيام فقط استطاع الفريق العثور على طقم سفرة كامل من السيراميك يتجاوز عمره الثلاثة آلاف عام. تلا ذلك اكتشاف أثرين أكثر أهمية من قطع السيراميك، وهما تمثال صغير للإله الكنعاني رشف ما زالت طبقة من الذهب تغطي بعض أقسامه، وتمثال صغير آخر على غاية من الجمال للإلهة أستارت تظهر فيه عارية وهي ممسكة بباقة أزهار. لقد حفز هذان الاكتشافان كلود شيفر على إرسال خيَّال إلى اللاذقية مزوداً برسالة ينبغي إرسالها برقياً إلى باريس تقول: لقد تم العثور على كنز مينة البيضا.

جرت الحفريات الاستهلالية لمنطقة المقابر في منطقة قريبة إلى حد ما من البحر. ثم تحرك شيفر نحو القسم الجنوبي من المنطقة وتابع العمل ليلقى نجاحاً ثانياً. فقد اكتشف ثلاثة مدافن يرجح أنها مدافن ملكية قديمة جداً، ولكن لصوص المقابر القدماء كانوا قد سبقوا شيفر بزمن طويل، ولم يُبقوا على شيء ثمين في المكان. على أنهم في عجلة من أمرهم أغفلوا بعض القطع، بينها خواتم ذهبية، وعلبة عاجية أنيقة يبدو أنها احتوت في يوم من الأيام على مجوهرات الملكة.

كانت الأسابيع الخمسة الأولى للتنقيب من النجاح بحيث كان من

السهل على المنقبين متابعة عملهم في المنطقة نفسها لما تبقى من موسم التنقيب. ولكن ما حدث فعلاً أنهم قد انتقلوا إلى منطقة أخرى بعد وقت قصير من انتهاء الأسبوع الخامس، وذلك اتباعاً لمشورة كان رينيه دوساد René Dussaud قد قدمها إلى كلود شيفر عندما زار موقع العمل بعد مضي أسبوع واحد على بداية التنقيبات. كان دوساد باحثاً ذا خبرة متميزة، وقد سمح له مركزه كمحافظ لقسم الآثار المشرقية في متحف اللوفر بإقناع أكاديمية الآداب العالية والمنقوشات بتقديم الدعم لحملة شيفر التنقيبية في سورية. لقد اقترح دوساد على شيفر أن ينقل عمليات التنقيب إلى الشرق من منطقة المدافن، حيث التل الكبير المعروف برأس شمرا. لأن مدينة الموتى التي ابتدأت فيها التنقيبات لا بد من أنها قريبة من مدينة الأحياء التي ربما كانت جاثمة تحت ذلك التل الكبير.

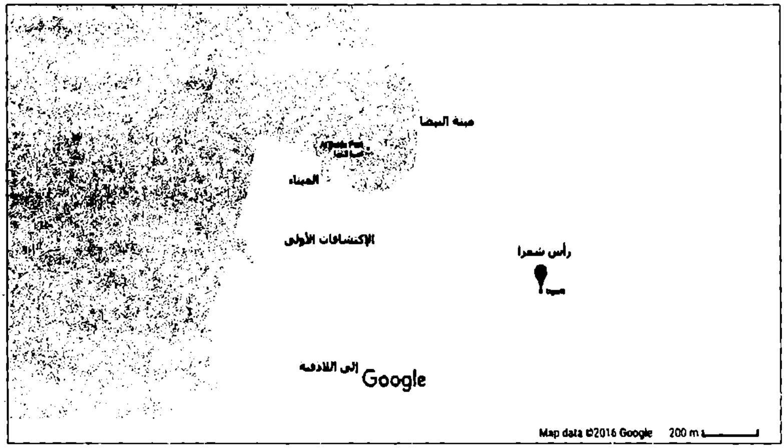

الشكل رقم (2): التنقيبات المبكرة في مينة البيضا ورأس شمرا.

في يوم الثلاثاء الواقع في 9 أيار/ مايو، نقل شيفر عملياته إلى تل رأس شمرا الذي استمد اسمه، ولا بد، من نبات الشمرة الظيب الرائحة الذي ينبت بكثرة على منحدراته. كان تلاً كبيراً يرتفع أكثر من ستين قدماً، ويغطي

مساحة تناهز العشرين هكتاراً، يحف به من الشمال والجنوب مجريان مائيان يلتقيان إلى الغرب منه مباشرةً في مجرى واحد يصب في البحر عند مينة البيضا. لقد حير حجم التل المنقب شيفر. فإذا كان الاحتمال قوياً في أن تكون آثار مدينة كبيرة مخفية تحته، فمن أي مكان يبتدئ الحفر؟ علماً بأن الابتداء من المكان غير المناسب قد لا يعطي نتيجة البتة، أو في أفضل الأحوال نتيجة غير مشجعة. لقد أعمل شيفر فكره الصائب بدل أن يترك المسألة للحظ، وابتدأ الحفر في القطاع الشمالي الشرقي وهو أعلى نقطة في التل. فلقد لاحظ في هذه المنطقة ما يدل على بقايا جدار تحت شجيرات قصيرة، واعتقد بأن هذا الجدار ربما كان لقصر قديم. يضاف إلى ذلك ما سمعه من إشاعات محلية عن عثور بعضهم على أختام أسطوانية ومصنوعات ذهبية في كرم الزيتون الواقع على سفح المنحدر الشمالي الشرقي للتل، فخمن أنها قد انجرفت من أعلى التل بواسطة الأمطار إلى الكرم في أسفله. وهكذا ابتدأ شيفر التنقيب في هذا القطاع الشمالي الشرقي.

مرة أخرى حقق فريق شيفر نجاحاً سريعاً جداً. فبعد إزاحته الأتربة برزت للعيان أساسات بنية معمارية قديمة ضخمة نالت منها الحرائق قبل زمن سحيق، وتم العثور على عدد من القطع الأثرية بين الأنقاض، بينها خنجر برونزي، وتمثال جذعي صغير ذو طابع مصري منحوت من الغرانيت ومنقوش عليه كتابه هيروغليفية، ونصب حجري تذكاري منذور للإله بعل صفون (صابونا). بعد ذلك انتقل شيفر مسافة 25 ياردة باتجاه الشرق، وهناك اكتشف غرفة تابعة لبناء، تبين فيما بعد أنها كانت بمثابة مكتبة أو مدرسة لتعليم الكتابة، وكانت مقسمة بواسطة ثلاثة أعمدة. في هذه الغرفة، وفي الرابع عشر من أيار/ مايو 1929 تم العثور على أول رقيم فخاري منقوش على صفحته كتابة مسمارية.

مكتبة الفكر الجديد

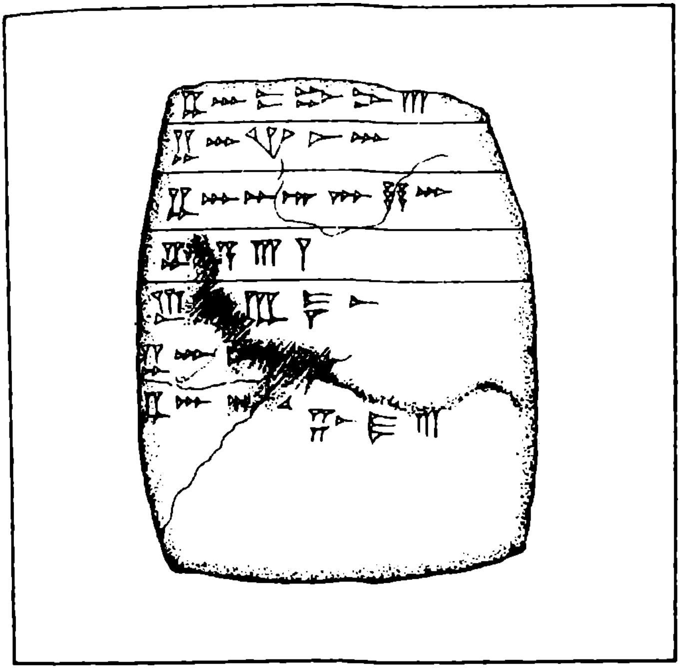

الشكل رقم (3): رقيم من رأس شمرا (1929) عليه قائمة بأسماء علم

لم يكن اكتشاف الرقيم الفخاري، بحد ذاته مفاجأة، فلقد تم اكتشاف عدد من المكتبات القديمة في مدن وادي الرافدين خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. وقد دلتنا تلك الاكتشافات على أن الطين في حضارة وادي الرافدين كان المادة الأساسية المستخدمة لأغراض الكتابة، كما هو حال مادة الورق اليوم، حيث كانت عجينة الطين تبسط على شكل لوح ثم يطبع عليها بواسطة إزميل مثلث الرأس علامات على شكل الإسفين أو المسمار، دعيت بالعلامات الإسفينية أو المسمارية، ومنها جاءت تسمية الكتابة المسمارية. بعد الطباعة على اللوح الطيني الطري يجفف في الفرن، وبذلك تبقى العلامات محفورة على وجهه بشكل دائم.

مكتبة الفكر الجديد

لم تكن المفاجأة إذاً في اكتشاف رقيم يحتوي على كتابة مسمارية، على الرغم من أن مثل هذا الاكتشاف كان مُرضياً، وقد جرى في الأيام التالية اكتشاف مزيد من هذه الرقم بين الأنقاض، بعضها ما زال مكدساً في الرزم المخزونة هناك عندما داهمها الحريق. لقد كانت المفاجأة الحقيقية عندما جرى فحص هذه الرقم بدقة وتبين أنها مكتوبة بمسمارية غير مسمارية وادي الرافدين التي تعتمد نظاماً معقداً يستخدم عدداً كبيراً يبلغ المئات من الإشارات الكتابية. إن معظم هذه الرقم المكتشفة في رأس شمرا مكتوب بمسمارية غير معروفة سابقاً وتعتمد نظاماً يستخدم عدداً محدوداً من الرموز الكتابية لا يتجاوز الستة أو السبعة والعشرين رمزاً، كما بدا في ذلك الوقت. وبتعبير آخر، لقد بدا أن رُقم رأس شمرا التي ترجع إلى ما قبل ميلاد المسيح بأكثر من 1200 سنة قد دُونت بأبجدية مسمارية.

مرة أخرى أرسل شيفر رسولاً إلى اللاذقية ينقل الأخبار. وبعد يومين وصل محافظ المدينة م. شويفلر M.Schoeffler إلى الموقع يصحبه مدير المالية، حيث شهدا بأم أعينهما استخراج مزيد من الرقم الطينية، وكان باستطاعتهما الشهادة على أصالتها. وفي الوقت نفسه تم إرسال رسالة برقية إلى الأكاديمية في باريس، وبدأ الفريق بتلقي رسائل التهنئة الأولى. ذلك أن اكتشاف لغة جديدة من تحت أنقاض تل قديم، لم يكن بالأمر المعتاد في الحفريات الأثرية.

بعد ذلك كان على فريق التنقيب أن يتابع عمله حتى نهاية الموسم، فجرى حفر خندق آخر ملاصق للمكان الذي وجدت فيه الرُّقُم، فعثروا فيه على مخبأ يحتوي على أربعة وسبعين قطعة من الأدوات والسلاح، بينها خمسة رؤوس لفؤوس منقوش على صفحتها العلامات الأبجدية المسمارية التي جرى التعرف عليها سابقاً، كان لها دور مهم في فهم نظام الكتابة الأوغاريتي، وهي الآن محفوظة بمتحف اللوفر.

مكتبة الفكر الجديد

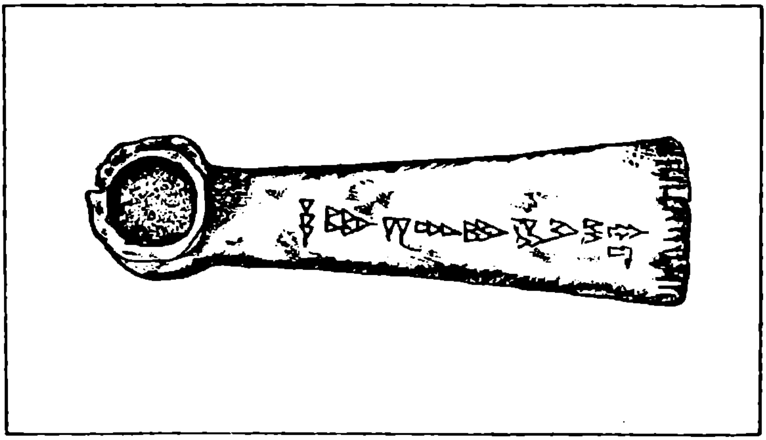

الشكل رقم 4: رأس فأس من رأس شمرا عليه نقش مسماري.

في أواسط شهر أيار/ مايو، توقفت أعمال التنقيب بسبب حلول فصل الصيف وارتفاع درجات الحرارة إلى حد جعل الاستمرار في العمل مستحيلاً. وقد كان العمل قبل نهاية الموسم يبدأ من الساعة الرابعة صباحاً وحتى العاشرة، يلي ذلك فترة راحة من حر النهار، ثم يستأنف العمل ابتداءً من الساعة الثالثة بعد الظهر وحتى غروب الشمس. وهكذا فلقد عملت حرارة الصيف بالتعاون مع ازدياد نشاطات العصابات الخارجة على القانون في الجوار، على إقفال موسم التنقيب الأول. لاسيما بعد أن وصلت أخبار تفيد بمقتل آثاري فرنسي وهو يقاوم اللصوص في مكان لا يبعد كثيراً عن رأس شمرا. قبل مغادرته للموقع، عمل شيفر على إغلاق خنادق التنقيب التي فتحها، وعين حراساً لحمايتها خلال بقية شهور الصيف وفترة الشتاء القادم.

ثم واجهت شيفر مشكلة نقل القطع الأثرية التي استخرجها إلى اللاذقية. وبعد تفكير قرر عدم استخدام الطريق البري لوعورته وخطورته على حمولته الثمينة، فاستأجر قارباً وحمَّل عليه القطع الأثرية وانطلق من

مكتبة الفكر الجديد

الميناء الأبيض. ولكن عاصفة بحرية أجبرتهم على اللجوء إلى خليج صغير، حيث تناوب شيفر وشانيه Chenet السهر على حراسة الحمولة طوال الليل من الأخطار الأخرى. وفي الصباح التالي انطلق المركب في طريقه إلى اللاذقية.

مقارنةً بما كان يجري في مثل هذه الأحوال، كان من المتوقع أن يثير هذا الاكتشاف اهتمام أجهزة الإعلام العالمية بسرعة. ولكن الأمور في البداية لم تجرِ على هذا النحو. ففي 21 أيار/ مايو 1929، وبعد أسبوع على اكتشاف الرقيم الفخاري الأول، ظهر تقرير مختصر عن عملية سير التنقيبات في مينة البيضا على الصفحة الثالثة عشر من جريدة التايمز اللندنية. وبعد خمسة أشهر من ذلك، نشرت التايمز أيضاً في عددها الصادر بتاريخ الثاني والعشرين من تشرين الثاني/ أكتوبر خبراً على الدرجة نفسها من الاختصار يفيد باكتشاف أبجدية مسمارية. ولكن هذا الخبر لم يلفت النظر على نطاق واسع إلا عندما ابتدأت محاولات فك رموز هذه الكتابة الأبجدية الجديدة.

إن فك رموز نظام كتابي جديد ليس مهمة سهلة، وهو يتطلب مهارات من نوع خاص يدعمها تدريب طويل ومعرفة معمقة. ولقد تميزت مكتشفات رأس شمرا بأن فك رموز الكتابة الجديدة قد تمت من قبل ثلاثة باحثين كل على حدة. ولكن قصب السبق يجب أن يعزى إلى عالم اللغات القديمة الفرنسي شارل فيروللو، وذلك لعدد من الأسباب. فلقد عهد كلود شيفر إلى فيروللو بأولى الرُّقُم الفخارية المكتشفة لفحصها وإعداد تقرير أولي بشأنها، وبعد استلام الرُّقُم بفترة وجيزة نشر فيروللو تقريره الأول عنها في العدد العاشر من مجلة «سورية» (التي تصدر في فرنسا وتعنى بشؤون الآثار السورية) وذلك في أواخر عام 1929. إضافةً إلى ملاحظاته العلمية القيمة التي أوردها في تقريره، فقد عمد فيروللو أيضاً إلى نشر نسخ

مكتبة الفكر الجديد

واضحة ودقيقة بخط يده عن تلك الرقم البالغ عددها ثمان وأربعين رقيماً وكسرة رقيم، متيحاً بذلك لبقية الباحثين فرصة دراستها، فقدم بذلك خدمة جلى للعلم، وعبر عن موقف غيري بعدم احتكاره للألواح وحجبها عن بقية الباحثين، كما فعل الباحث البريطاني السير آرثر إيفانز عندما أبقى في حوزته بعض الألواح التي اكتُشفت في جزيرة كريت ليكون له وحده في المستقبل فخر حل رموز الكتابة الكريتية.

لم يكتفِ فيروللو بنشر نسخ عن النصوص، وإنما قدم في تقريره الأول أيضاً عدداً من الملاحظات والاقتراحات التي تعين على فك رموزها، كانت ذات أثر بالغ على حل رموز الكتابة الأوغاريتية. ثم إنه وسع هذه الملاحظات والاقتراحات في تقرير آخر أكثر تفصيلاً في عام 1931. لقد لاحظ فيروللو منذ البداية أن الكتابة الأوغاريتية تقوم على نظام أبجدي، وأن الكاتب الأوغاريتي كان يستعمل إشارة إسفينية عمودية مفردة للفصل بين الكلمات. لقد كان التعرف على هذه الإشارة الفاصلة مهماً جداً، لأنه بيَّن لفيروللو أن كلمات اللغة الأوغاريتية كانت قصيرة في معظمها، وتتألف من ثلاثة أو أربعة أحرف، وهذا ما جعل من المستبعد أن يكون الخط الأوغاريتي يخفي وراءه لغة إغريقية أو لغة قديمة أخرى ذات صلة بها.

تابع فيروللو والعالمان الآخران عملهم كل على حدة، وتوصل كل منهم إلى فك الرموز بطريقة مختلفة. وعلى الرغم من أن فيروللو لم يكن الأسبق إلى فك الرموز بشكل كامل، إلا أن عرضاً مختصراً للطريقة التي اتبعها تُظهر لنا أسلوبه البسيط والمنطقي. ففي بداية الأمر استطاع تمييز كلمة مؤلفة من حرف واحد فقط في نص قصير منقوش على رأس فأس، ثم ميز الكلمة نفسها في مطلع نص منقوش على أحد الرقم الفخارية. بعد ذلك جمع هذه الملاحظة إلى فرضية أن اللغة التي تختفي تحت الخط

مكتبة الفكر الجديد

الأوغاريتي هي لغة سامية قريبة من الفينيقية والعبرية، وخرج بفرضية مفادها أن ورود هذه الكلمة المؤلفة من حرف واحد على الفأس وفي بداية الرقيم الفخاري، يشير إلى كونها حرف جر Preposition، ورجح أنها مؤلفة من حرف اللام، لأن حرف اللام في العربية والفينيقية والعبرية يفيد معنى العائدية، كقولنا في العربية: هذا البيت لفلان. من هنا فقد كانت نقطة الابتداء عنده من حرف «ل» (انظر الشكل رقم 5).

بعد ذلك أخذ بتجميع كل الكلمات التي تستخدم ذلك الرمز المفرد الذي تعرَّف عليه بشكل أوليّ. وعلى الرغم من أنه لم يذكر في وصفه لطريقته كل الخطوات التي اتبعها، فقد كان من الواضح أنه ابتدأ بالبحث عن معادل لكلمة «ملك» التي ترد تهجئتها في معظم اللغات السامية بالأحرف الثلاثة (م ل ك). وكان بحثه هذا منطقياً استناداً إلى أن المدينة كانت تحكم من قبل ملوك، على ما تدل عليه المقابر الملكية المكتشفة في مينة البيضا.

ولقد أفلح فعلاً في التعرف على كلمة اعتقد أنها تعني «ملك» (انظر الشكل رقم 5)، وبهذا فقط استدل على الرموز المقابلة للأحرف (م ل ك). وعندما وجد الكلمة نفسها مع حرف رابع مضاف إلى آخرها مشابه للحرف الأول فيها، أي (م ل ك م)، تأكد بشكل جزئي من فرضيته، لأن حرف الميم في بعض اللغات السامية يدل على الجمع، والكلمة هنا تعني ملوكاً.

استمر فيروللو في طريقته المعتمدة على التخمين والمستندة إلى قاعدة منطقية، فتعرف على كلمة «بعل» (انظر الشكل رقم 5). وعندما وجد الكلمة نفسها مع حرف رابع مضاف إلى آخرها ليس حرف الميم، استنتج أن الحرف الرابع هو لاحقة التأنيث «ت»، وأن الكلمة هي «بعلة» أي ربة. ثم عثر على كلمة من ثلاثة أحرف تحتوي على حرف اللام في وسطها، ويتشابه فيها الحرفان الأول والأخير، فخمن استناداً إلى اللغة

مكتبة الفكر الجديد

العبرية أن الكلمة هي (ش ل ش) التي تعني العدد ثلاث في اللغة العبرية. وعندما وجد نفس الكلمة مضافاً إليها حرف الميم في آخرها، استنتج أن الكلمة تعني ثلاثين. وعلى الرغم من أنه كان صائباً في التعرف على معنى هذه الكلمة، إلا أنه بدَّل بعد ذلك من استنتاجه عندما تبين له أن كلمة ثلاثة في الأوغاريتية لاتلفظ (ش ل ش) كما في العبريةِ وإنما (ث ل ث)، أي بطريقة أقرب إلى العربية. اعتماداً على هذه النتائج الأولية، تابع فيروللو عمله، فكان يضع الفرضيات التي يختبرها، موسعاً بشكل تدريجي معرفته بدلالات الرموز.

الشكل رقم (5): الخطوات الابتدائية التي اتبعها فيروللو في فك الرموز.

على الرغم من أسبقية فيروللو في حل رموز الخط المسماري الأوغاريتي، إلا أن أسرع طريقة في حل الرموز يجب أن تعزى إلى هانز بوير Hans Bauer، وهو أستاذ في اللغات المشرقية في جامعة هال الألمانية. كان بوير باحثاً في الواحدة والخمسين من عمره، على جانب كبير من الذكاء والألمعية. درس مدة في الجامعة الجيورجية بروما، وتابع بعد ذلك تحصيله العالي في اللغات المشرقية في جامعتَيْ ليبزغ وبرلين.

مكتبة الفكر الجديد

وهو إلى جانب تمكنه من عدة لغات أوربية وسامية فقد كان على إلمام بعدة لغات آسيوية شرقية. يضاف إلى ذلك كله خبرة في حل رموز الشيفرة اكتسبها من خدمته في القوات المسلحة خلال الحرب العالمية الأولى.

في الثاني والعشرين من شهر نيسان/ أبريل 1930، تلقى بوير من فيروللو نسخة منقولة بخط اليد عن النصوص المسمارية الأوغاريتية، وعكف فوراً على دراستها. وما أن مضت خمسة أيام فقط، حتى استطاع تعيين دلالات عشرين رمزاً أبجدياً باستخدام تقنية حل رموز الشيفرة التي تقوم على مبادئ إحصائية، ثم قام بإطلاع الفرنسيين على نتيجة عمله في الثامن والعشرين من شهر نيسان/ أبريل. وفي أواسط عام 1930 نُشر تقرير بهذا الخصوص في مجلة «سورية»، كما قام بوير نفسه بنشر تقرير أولي حول الموضوع في مجلة Vossische Zeitung بتاريخ 4 حزيران/ يونيو 1930.

كانت طريقة بوير إحصائية محضة، وتعتمد إلى حد كبير على الإحصائيات والاحتمالات. وقد انطلق من فرضية أن اللغة الكامنة وراء الخط هي لغة سامية، وبالتالي لغة تعتمد على تطوير الكلمات بواسطة السوابق واللواحق. فعمد إلى تحضير قوائم بالرموز التي غالباً ما تأتي في بدايات الكلمات (سوابق)، وقوائم بالرموز التي غالباً ما تأتي في نهايات الكلمات (لواحق)، وقوائم بالرموز المؤلفة من حرف واحد يدل على كلمة (انظر الشكل رقم 6). ثم التفت بعد ذلك إلى الوجه الآخر للمسألة، فوضع قائمة بالحروف المستخدمة عادة كسوابق في اللغات السامية المعروفة، وأخرى بتلك المستخدمة كلواحق، وثالثة بتلك المستخدمة ككلمات من حرف واحد. وقد مهدت هذه القوائم للمرحلة الثانية من عمله.

عند مقارنة مجموعتي القوائم، الأوغاريتية والسامية. لاحظ بوير وجود رمزين مسماريين مشتركين في الزمر الثلاث الأوغاريتية (أي

مكتبة الفكر الجديد

السوابق واللواحق والكلمات المؤلفة من حرف واحد). كما لاحظ وجود ثلاثة حروف مشتركة في الزمر الثلاث السامية (يمكن حذف واحد منها على أساس إحصائي). على هذا الأساس، استطاع بوير التعرف بشكل جيد على دلالات رمزين مسماريين باعتبارهما حرف الميم وحرف الواو. انطلاقاً من ذلك، ومن خلال تحسين وتطوير أسلوب عمله، كان قادراً على التعرف بشكل مبدئي على ثلاثة أرباع الرموز المسمارية وخلال فترة لم تتجاوز الأسبوع الواحد.

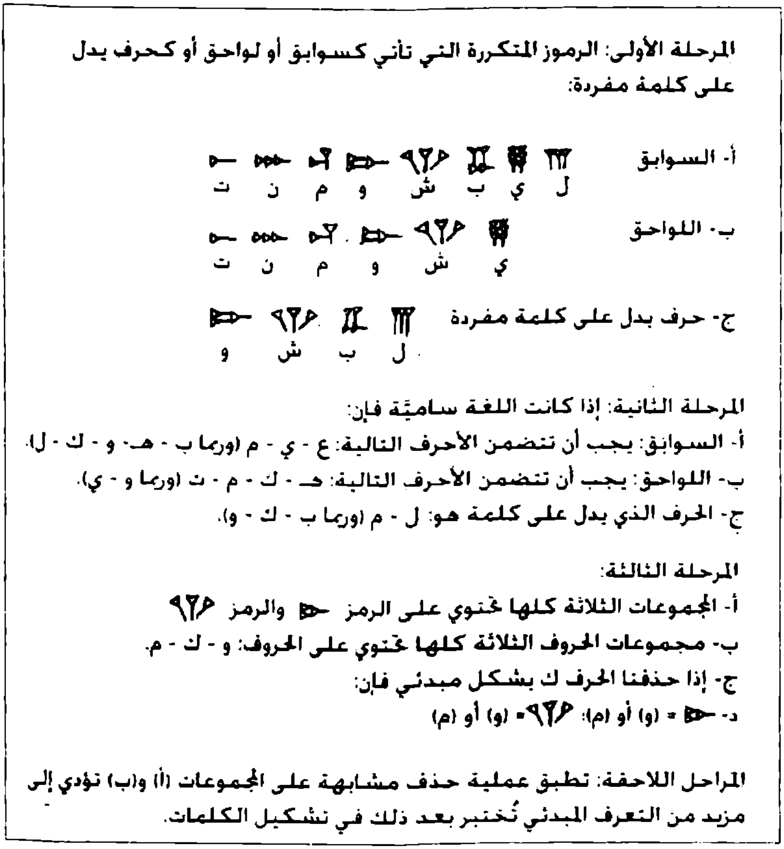

الشكل رقم (6): مراحل طريقة بوير في فك الرموز.

مكتبة الفكر الجديد

بينما كان بوير يحقق التقدم في عمله بألمانيا، كان باحث فرنسي آخر يدعى إدوارد دورم Eduard Dhorme يعمل على فك رموز الكتابة الأوغاريتية في مدينة القدس. كان هذا الباحث المتميز في نحو الخمسين من عمره، وقد نشر خلال حياته العلمية عدة أبحاث في الدراسات التوراتية والشرق أوسطية، كما اكتسب خبرة في فك رموز الشيفرة خلال الحرب العالمية الأولى، عندما خدم في سلك المخابرات الفرنسية باليونان. إضافةً إلى ذلك فقد كان عضواً في هيئة الأبحاث لمعهد دراسات الكتاب المقدس في مدينة القدس منذ عام 1904، ومتمرساً باللغات السامية. لم يحقق دورم في بداية عمله على الرُّقُم الأوغاريتية إلا نجاحاً محدوداً. ولم تنصفه مقالة كتبها مراسل جريدة التايمز في بيروت بتاريخ 20 تشرين الثاني/ ديسمبر 1930، عندما قال إن دورم لم يحقق نجاحاً البتة. كان وليم فوكسويل أولبرايت، الآثاري الأميركي البارز على اطلاع بنجاح دورم المحدود، فلفت نظره إلى المقالة التي نشرها بوير في مجلة Vossische Zeitung. وقد أفاده الاطلاع على هذه المقالة في إجراء بعض التعديلات على نظام عمله. تلا ذلك مراسلات بين الاثنين ساعدت دورم على إسراع وتيرة تقدمه نحو الحل الكامل.

ولكن كما حقق فيروللو الخطوات الأولى باتجاه الحل، فإن الفضل يعود إليه في إضافة اللمسات الأخيرة على ما حققه كل من بوير ودورم من نجاحات باهرة. ففي شهر أيار/ مايو من عام 1930، كان فيروللو يتهيأ لنشر نتائجه الأولية عندما وصلته أخبار تقول إن بوير قد أعلن توصله إلى الحل. وفي 20 آب/ أغسطس من العام نفسه وصلته دراسة بوير، كما وصلته أيضاً مجموعة جديدة من الرقم التي اكتشفها شيفر، وبذلك فقد تهيأ له نوعين من المعلومات ليعكف على دراستها. ولكن الرقم الجديدة كانت مغطاة بالرواسب ولا بد من تنظيفها قبل أن تكون صالحة للقراءة. فعهد بها إلى

مكتبة الفكر الجديد

التقني م. أندريه، الذي لم ينته من تنظيفها إلا في 20 أيلول/ سبتمبر من عام 1930. بعد أربعة أيام من العمل على المادة الجديدة، استطاع فيروللو التثبت من معظم حلوله السابقة، كما توصل إلى دلالات حروف أخرى لم تكن معروفة قبل ذلك، وأَطلع رينيه دوساد على نتائجه في رسالة قُرئت على الأكاديمية بباريس في 3 تشرين الأول/ أوكتوبر من عام 1930. وبعد ثلاثة أسابيع قدم فيروللو في 24 تشرين الأول نتائج عمله شخصياً إلى الأكاديمية. وفي نفس الوقت تقريباً نشر هانز بوير نتائجه النهائية في Die Entzifferung der eilschriftalphabet Von Ras Shamra, 1930. كما نشر دورم تقريراً مختصراً عن نتائجه في مجلة «الكتاب المقدس» Revue Biblique.

في الوقت الذي كان فيه هؤلاء الثلاثة يعملون على حل رموز خط مجهول، عاد شيفر إلى سورية في صيف عام 1930 ليبدأ موسم التنقيب الثاني، مصطحباً هذه المرة زوجته وابنته. استمرت أعمال الحملة من شهر آذار/ مارس إلى شهر حزيران/ يونيو، وتلقت الدعم الكامل من نفس المصادر بعد النجاح الذي حققته الحملة الأولى. وكان لدى شيفر هذه المرة تمويل كافٍ لاستئجار 250 عاملاً محلياً، كما أرسل الجنرال دي بيجو دوغرانرو مفرزة قوامها ثلاثون جندياً لحراسة أعمال التنقيب. في مثل هذا المشروع التنقيبي الضخم، كانت الاحتمالات كبيرة في قيام بعض العمال بسرقة قطع أثرية مكتشفة. وللتغلب على هذه المشكلة ابتكر شيفر حلاً مبدعاً، عندما انتقى عماله من مصدرين، الأول السكان المحليين، والثاني عناصر تركية أتى بها من وراء الحدود التركية القريبة، ثم مزجهما معاً. ونظراً للكراهية المتبادلة بين الطرفين، فقد ضمن شيفر أن أحدهما سوف يُبلغ عن الآخر في حال إقدامه على السرقة. مثل هذه الاحتياطات كانت في محلها نظراً لقيمة القطع الأثرية المتوقع اكتشافها قبل نهاية الموسم.

مكتبة الفكر الجديد

مضت الأيام الأولى في إعادة فحص المدافن التي جرى الكشف عنها في مينة البيضا خلال العام السابق. بعد ذلك ابتدأت التنقيبات الجديدة مع نهاية شهر آذار/ مارس في بقية منطقة المدافن. وكان أهم اكتشاف هنا هو بنية معمارية كبيرة مؤلفة من ستة وثلاثين غرفة يصل بينها عدد من الدهاليز، ومزودة بعدة آبار. وكان من الواضح أنها لم تكن معدة للسكن الاعتيادي، فقد كانت متصلة بدهاليز سفلية تؤدي إلى مدفن ملكي. وهذا يعني أنها كانت معدة لاستخدام الملك المتوفى. وقد تم العثور في غرف هذا البناء الجنائزي على عدد من القطع الأثرية المهمة التي قدمت شواهد إضافية على ثقافة وثروة الأسرة الحاكمة.

بعد ستة أسابيع من التنقيب في مينة البيضا، نقل شيفر عملياته مرة أخرى إلى تل رأس شمرا، وابتدأ الحفر مجدداً في منطقة المكتبة أو المدرسة، حيث وُجدت الرقم الفخارية في العام الماضي. ولدى تعمقه في السبر، اكتشف أن أرضية المكتبة التي تعود بتاريخها إلى الفترة ما بين القرن الخامس عشر والقرن الثاني عشر قبل الميلاد، لا تقوم على التربة العذراء، وإنما على مستوى آثاري أقدم، تبين من اللقى المكتشفة فيه أنه كان منطقة مدافن ترجع بتاريخها إلى الفترة ما بين القرن الواحد والعشرين والقرن السادس عشر قبل الميلاد. ولدى تعمقه بالسبر أكثر من ذلك، وجد أن المقبرة تقوم بدورها على مستوى آثاري أقدم يرجع بتاريخه إلى مطلع أو أواسط الألف الثالث قبل الميلاد.

بعد التثبت من قدم التل كمكان للسكن الإنساني المبكر، عاد شيفر لتوجيه اهتمام فريقه إلى منطقة المكتبة/ المدرسة، حيث جرى اكتشاف المزيد من الرقم. الفخارية ومعظمها منقوش بالأبجدية المسمارية، وبينها العديد من الرقم الملفتة للنظر بسبب حجمها الكبير وتوزيع النص المكتوب على ثلاثة أعمدة منفصلة، إضافة إلى نصوص أخرى مهمة،

مكتبة الفكر الجديد

بعضها يعتمد أبجدية مقطعية، إضافة إلى قاموس ثنائي اللغة. وهكذا، فقد بدأ يتضح لشيفر أن الحضارة التي اكتشفها هي حضارة متعددة اللغات. وقد قدّر في عام 1930 أن اللغات المستخدمة في هذه المدينة القديمة هي خمس لغات. ولكنه بعد ثلاث سنوات راجع تقديراته ورفع عدد اللغات المستخدمة في أوغاريت إلى ثمانية. وفي الواقع، فإن اللغات التي استخدمها الكتبة الأوغاريتيون، كما بينت الاكتشافات اللاحقة، يربو على هذا العدد، على ما يوضحه الشكل رقم (7) أدناه، ولكن هذا لا يعني أن كل هذه اللغات كانت متداولة بين الناس العاديين. وأغلب الظن أن اللغات المتداولة كانت تقتصر على الحورية والحثية والسامية الأوغاريتية. (وهذه هي الفئات الإثنية الرئيسية التي تشكّل منها المجتمع الأوغاريتي- المترجم).

اللغة	الخط المستخدم
نصوص أكادية	المسماري
نصوص سومرية	المسماري
نصوص حورية	المسماري
نصوص حثية	المسماري
نصوص أوغاريتية	الأبجدي المسماري
نصوص حورية	الأبجدي المسماري
نصوص أكادية	الأبجدي المسماري
نصوص مصرية	الهيروغليفي
نصوص حثية	الهيروغليفي الحثي
نصوص قبرصية- مينوية	القبرصي- المينوي المحلي

الشكل رقم 7: اللغات والخطوط المستعملة في أوغاريت

مكتبة الفكر الجديد

وزيادة على النصوص فقد تم العثور في المكتبة على كنز حقيقي، فتحتَ درج المكتبة كانت هنالك أوعية وفازات فضية ثقيلة الوزن، لما احتوته من قطع زينة وإكسسوارات ذهبية وفضية.

في نهاية عام 1930 تجمعت لدى المنقبين معلومات لا بأس بها عن هذه المدينة القديمة الواقعة على الساحل السوري الشمالي. فقد أدى موسما التنقيب الأولان إلى اكتشاف حصيلة غنية من المصنوعات اليدوية، ومن الأبنية، سواءً في المدينة نفسها أم في منطقة المقابر المتاخمة لها. يضاف إلى ذلك المنقوشات الكتابية التي تم حل رموزها في نهاية عام 1930، وصارت الكتابة الأوغاريتية مقروءة لنا. لقد ساعدتنا هذه النصوص على معرفة العديد من نواحي حياة المدينة، ولكن اسم هذا الموقع القديم لم يكن قد تحدد في نهاية عام 1930.

في تقريره عن الحملة التنقيبية الثانية، غامر كلود شيفر بتقديم اقتراح مفاده أن اسم الموقع ربما كان «صابونا» (أو «صافونا»)، وهو الاسم الذي ذُكر بالترافق مع الاسم الإلهي «بعل» على المصنوعات المصرية التي وُجدت في منطقة المعبد (بعل صافونا). ولكن الصعوبة في هذا الاقتراح كانت تكمن في عدم وجود بيّنة خارجية على وجود مدينة بهذا الاسم في العصور القديمة ضمن حدود هذه المنطقة. وهذا ما دعى الباحث الأميركي وليم فوكسويل أولبرايت لأن يتقدم باقتراح آخر في مقالة له نشرت في مجلة Archiv Für Orientforschung عام 1931، مفاده أن اسم المدينة ربما كان أوجاريت. وسند اقتراحه بالإشارة إلى العديد من نصوص الشرق الأدنى القديم التي تذكر أوجاريت كموقع لمدينة مهمة في المنطقة السورية- الفلسطينية، على الرغم من أن مثل هذا الموقع لم يتم تحديد مكانه حتى عام 1930. ثم وعد أولبرايت في مقالته تلك بكتابة مقالة

مكتبة الفكر الجديد

أخرى حول هذا الموضوع يدعم فيها اقتراحه. ولكن مثل هذه المقالة لم يكن لها لزوم، لأن فيروللو، الذي كان عاكفاً على قراءة النصوص الجديدة المكتشفة، ما لبث طويلاً حتى وجد الاسم «أُجرت»، الذي صرنا ننطقه الآن «أوغاريت»، في أكثر من نص، ووجد في أحدها اسم «نقمد» الذي كان ملكاً على أوغاريت. وما أن تم التأكد من الاسم القديم للموقع حتى بدأ اسم أوغاريت يحل تدريجياً محل «رأس شمرا» الاسم العربي الحديث، في التقارير والمقالات الصادرة عن هذا الموقع القديم. كما تم إطلاق صفة «الأوغاريتي» و«الأوغاريتية» على الخط وعلى اللغة المكتشفين حديثاً.

استمرت التنقيبات، وتم إنجاز أحد عشرة موسمَ تنقيبٍ قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، في مينة البيضا ورأس شمرا، تحت إشراف كلود شيفر. وعلى الرغم من ضخامة العمل المبذول خلال فترة امتدت ما ينوف عن العشر سنوات، فإن المساحة التي تم اكتشافها لم تتجاوز ثُمن سطح رأس شمرا وسدس منطقة مينة البيضا، وذلك ضمن سوية أثرية واحدة، وما زال هنالك الكثير مما يمكن بذله. في خريف عام 1938 تم إكمال الحملة العاشرة، وفي شباط/ فبراير من عام 1939 تم إكمال الحملة الحادية عشر، ثم توقفت عمليات التنقيب لعدة سنوات بسبب اندلاع الحرب، وكان على مدير التنقيب كلود شيفر أن يتفرغ لواجبات أخرى، فقد خدم كقبطان في بحرية فرنسا الحرة.

على الرغم من أن الحملات التنقيبية الأحد عشرة، لم تستنفد كل إمكانيات الموقعين في رأس شمرا ومينة البيضا، إلا أن عدداً موفوراً من المعلومات تم الحصول عليه منهما. ففي عام 1939 كان في حوزة العلماء أكثرِ من 150 نصاً بالأبجدية المسمارية، بعضها طويل جداً، إضافةً إلى نصوص عديدة باللغات الأخرى. كما تم تحديد مواقع أجزاء مهمة من

مكتبة الفكر الجديد

المدينة، مثل معبد بعل، ومعبد داجان، وأقسام من قصر، ومكتبة، وعدداً من البيوت الخاصة، وشوارع، وأقسام من الميناء البحري والمقبرة.

بعد انتهاء الحرب، تم القيام بسلسلة من الحملات التنقيبية. كانت الحملتان الأوليتان (الثانية عشر عام 1948 والثالثة عشر عام 1949) محدودتين، واقتصرتا على تعزيز العمل في مناطق جديدة لم تطالها التنقيبات السابقة. وفي عام 1950 جرى استئناف العمليات الواسعة النطاق تحت إشراف كلود شيفر، وصولاً إلى الحملة الواحدة والثلاثين في عام 1969. ثم استلم قيادة الحملة الفرنسية بعد ذلك هنري دي كونتينسون H.De Contenson (1971-1973). وانضم إليه في عام 1974 كل من عدنان البني ونسيب صليبي من المديرية العامة للآثار السورية، إضافةً إلى الفرنسيين جاك وإليزابيث لاغراس Jacques and Elisabeth Lagarce، ثم جان كلود مارجيورون Jean - Claude Margueron بين عامي 1975 و1976. وبعد توقف قصير في عمليات التنقيب جرى تعيين مارغريت يون Marguerite Yon من جامعة ليون مديرة للبعثة الفرنسية عام 1978، والتي بقيت في منصبها حتى إعداد هذا الكتاب في عام 1983.

طورت تنقيبات ما بعد الحرب العمل في مناطق عديدة من التل، حيث تم اكتشاف القصر الكبير، الذي لم يكن معروفاً إلا بشكل ابتدائي قبل الحرب، وكذلك المنطقة السكنية للمدينة، وحياً حِرفياً، وعدداً من البيوت الكبيرة التي سكنها في الأيام الغابرة علية القوم. كما وتم الكشف عن أرشيفات خاصة خارج منطقة القصر والمعابد، وفي بيوت بعض الشخصيات التي اضطلعت بدور نشط في حياة المدينة.

والآن، وبعد سنوات طويلة من التنقيب، وما عثر عليه الآثاريون من لقى كثيرة، صار بالإمكان إعادة تصور الكيفية التي كانت عليها حضارة أوغاريت وحياتها، في خطوطها العامة.

مكتبة الفكر الجديد

الفصل الثالث

الحياة في أوغاريت

مكتبة
الفكر الجديد

غابت أوغاريت قبل ثلاثة آلاف عام من يومنا هذا، وآلت حضارتها إلى نهاية مفاجئة، ولم تعد الحياة إليها بعد دمارها نحو عام 1190 ق.م، ولكن خرائبها وبقاياها التي دُرست بعناية من قبل الآثاريين الفرنسيين، جعلت من الممكن إعادة بناء وتصور ما كانت عليه الحياة في هذه المدينة، بشكل تقريبي.

في إعادة بناء الحياة في أوغاريت، سوف يكون تركيزنا على القرنين الأخيرين من تاريخ المدينة، وهما القرنان الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، على الرغم من أن المدينة قد وُجدت قبل هذه الفترة بزمن طويل. إن ما يتميز به موقع أوغاريت من خصائص طبيعية قد جعله مكاناً ملائماً للسكن الإنساني منذ أقدم العصور. ولقد عثر الآثاريون على دلائل على الاستيطان الزراعي ترجع إلى الألف الخامس قبل الميلاد، وذلك في الطبقة الآثارية السفلى الخامسة للموقع، وتبين منها أن السكان الأوائل ينتمون إلى الثقافة النيوليتية (العصر الحجري الحديث). فوق هذه الطبقة تم العثور على دلائل سكنية تنتمي إلى ثقافة العصر النحاسي وذلك في الطبقة الآثارية الرابعة. وفوق هذه الطبقة تم العثور على دلائل سكنية تنتمي إلى عصر البرونز المبكر، وذلك في الطبقة الثالثة التي تشف اللقى الأثرية فيها عن روابط واضحة مع ثقافة وادي الرافدين. بين هذه الطبقات تشكل الطبقتان الثانية والأولى الموضوع الأهم والأكثر صلة بدراستنا هنا. ففي الطبقة الثانية المقابلة لعصر البرونز الوسيط، يبدو أن المدينة قد

مكتبة الفكر الجديد

أخذت تحتل مكانتها كعاصمة لمملكة صغيرة، وكميناء مهم. وفي الطبقة الأولى العليا بلغت ثقافة المدينة أوج ازدهارها، وهي الطبقة التي تعكس ثقافة عصر البرونز الأخير، والتي أعطتنا كل الوثائق الكتابية التي عُثر عليها في الموقع. فوق هذه الطبقة العليا، لم يتم العثور على دلائل سكن دائم في موقع أوغاريت وفي منطقة الخليج، وإنما على دلائل سكن عرضي ومتقطع، وذلك عقب نهاية عصر البرونز الأخير واستهلال عصر الحديد الأول.

Surface soil
التربة السطحية

1. Late Bronze Age «Ugrit (1500-1200 B.C)
1. عصر البرونز الأخير 1200-1500 ق.م

2. Middle Bronze Age (2100-1500 B.C)
2. عصر البرونز الوسيط 1500-2100 ق.م

3. Early Bronze Age (3500-2000 B.C)
3. عصر البرونز المبكر 2000-3500 ق.م

4. Chalcolithic (ca. 4000-3500 B.C)
4. العصر النحاسي 3500-4000 ق.م

5. Neolithic (fifth millennium B.C)
5. العصر النيوليتي (الألف الخامس ق.م)

الشكل رقم (8): الطبقات الآثارية في رأس شمرا.

مكتبة الفكر الجديد

تُشكل الطبقة الأولى الموضوع الأهم بالنسبة إلى دراستنا، لأنها هي التي قدمت أكمل المعلومات، وجعلتنا نعرف عن حياة المدينة في هذه الفترة أكثر مما نعرفه عن حياتها في الفترات السابقة. إلا أن عملية إعادة بناء حياة المدينة اعتماداً على اللقى الأثرية، ينبغي أن تتم بحرص شديد. فالبيّنات نادراً ما تكون كاملة، والقطع الأثرية غالباً ما عُثر عليها مكسورة، والنصوص الكتابية ما زالت غير واضحة تماماً، وتعاني من كسور وتشوهات في المواضع الحرجة. ولكن على الرغم من كل هذه الصعوبات فإن بإمكاننا جمع شتات المعلومات وإعادة تركيبها كما نُركّب أجزاء لعبة اللغز ذات القطع الكثيرة (Jigasaw Puzzle) التي يقودنا وضعها في المكان المناسب إلى إعادة تركيب المشهد الأصلي. بعض هذه القطع مفقود وربما لن نفلح في العثور عليه، إلا أن ما بقي منها كافٍ لتكوين صورة عن حياة الأوغاريتيين خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر.

يقدم الوصف الجغرافي لموقع أوغاريت نقطة الانطلاق المناسبة. فالمدينة تقع على مقربة من ساحل البحر المتوسط، وكانت خلال عصرها الذهبي (القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م) تتحكم بمنطقة تبلغ مساحتها نحو 1300 ميل مربع. يحد هذه المساحة من الشمال جبل الأقرع، الذي يقع إلى الشمال الشرقي من أوغاريت، والذي دُعي بالأوغاريتية جبل صابان[1]، ودُعي خلال الفترة الكلاسيكية بجبل كاسيوس. باتجاه الداخل شرقاً امتدت أراضي مملكة أوغاريت، على الأرجح، قرابة عشرين أو ثلاثين ميلاً بعيداً عن البحر. أما باتجاه الجنوب فربما كان الحد الأقصى لأراضيها عند منطقة تل سوكاس (شوكسي)، أو عند مصب نهر السن القصير على البحر المتوسط.

كانت المساحة التي تتحكم بها دولة مدينة أوغاريت ضيقة نسبياً

(1) صافان أو صافون، وفق قراءات أخرى. (المترجم).

ومكتفية ذاتياً. فلقد شكل البحر حدها الطبيعي غرباً، بينما شكلت سلسلة الجبال الممتدة من الشمال إلى الجنوب حدها الطبيعي شرقاً، فاصلةً السهل الساحلي عن الداخل السوري؛ ويصل ارتفاع هذه السلسلة وسطياً إلى نحو 3600 قدم، وفي أعلى نقطة لها إلى نحو 5140 قدم. وبالرغم من أن الأراضي المحيطة بالمدينة تشكل سهلاً منبسطاً، إلا أن هذا السهل ما يلبث أن يرتفع تدريجياً متحولاً إلى منطقة صخرية تؤلف التلال السفحية التي تنتهي صعوداً بجبل الأقرع الذي يصل ارتفاعه إلى نحو 5840 قدماً.

في هذه المنطقة هنالك نهر واحد ذو أهمية، هو النهر الذي يدعى اليوم بالنهر الكبير، وهو يجري من الشمال إلى الجنوب حيث يصب في البحر إلى الجنوب تماماً من مدينة اللاذقية الحديثة. وكان هنالك على ما يبدو عدد قليل من الأنهار الصغيرة، ولكنها لم تكن كافية لإقامة نظام سقاية متطور على الطريقة المصرية أو الرافدينية. ومع ذلك فإن معظم المساحة كانت مستثمرة زراعياً دون اللجوء إلى السقاية الصناعية، بل اعتماداً على الري المطري. وعلى العكس من الوضع الحالي، فقد كانت المنطقة خلال حياة مملكة أوغاريت مشجرة بكثافة، لاسيما على منحدرات جبل الأقرع. كما ساهم المناخ اللطيف والمعتدل إلى حدٍّ بعيد في ازدهار هذه الدويلة المتوسطية. كانت تتلقى كمية كافية من الهطولات المطرية (نحو ثلاثين إنشاً في السنة) التي تسد حاجات مزارعيها، ومع ذلك كان السكان غالباً ما يخشون من عدم كفاية المطر في كل موسم، وانعكس ذلك على أساطيرهم الدينية، التي تدور إحدى أفكارها الرئيسية حول رجاء الشعب للإله بعل أن يرسل مطراً كافياً لنمو النبات ووفرة الحصاد. كان من الممكن لمملكة أوغاريت أن تكون مكاناً طيباً لمعيشة أهلها، بسبب الاكتفاء الذاتي لاقتصادها الزراعي. ولكن موقعها الاستراتيجي على البحر المتوسط قد قدم مزايا اقتصادية إضافية ساهمت في ارتفاعها إلى سدة مجد قصير الأمد.

مكتبة الفكر الجديد

يغطي القسم الرئيس من المدينة نفسها مساحةً مقدارها 50 هكتاراً، وهي مساحة غير واسعة بمعيار المدن الحديثة (ولكنها كانت مساحة متوسطة بالنسبة إلى مدن بلاد الشام في ذلك العصر). ولقد ساعد مخطط المدن المشرقية داخل السور على الإفادة إلى أقصى حد من مساحتها المتواضعة، بسبب تراص البيوت على بعضها بعضاً، وضيق الشوارع، وقلة الساحات أو انعدامها. في القسم الشرقي من المدينة، وعلى مستوى أعلى من الأرض، أقيم معبدان واحد لبعل وآخر لداجان، وبينهما بيت الكاهن الأعلى الذي يحتوي على مكتبة ربما خدمت أيضاً كمدرسة لتعليم الكتابة. إلى الجنوب مباشرةً من منطقة المعبدين وعلى مستوى أكثر ارتفاعاً، كانت تقوم المدينة العليا التي تحف بشوارعها بيوت ذات أبعاد واسعة نسبياً.

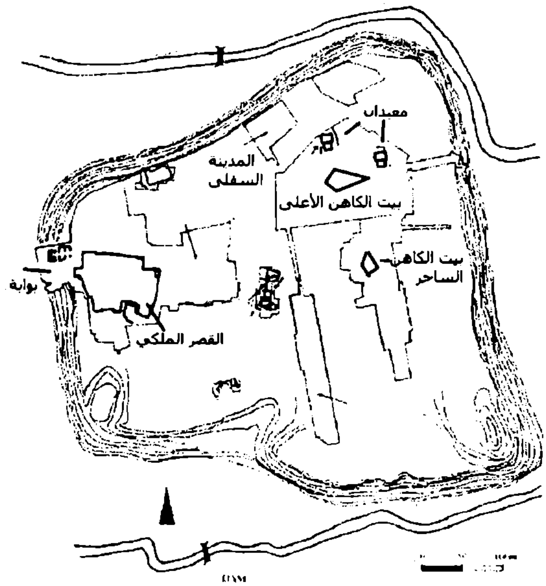

الشكل رقم (9): رأس شمرا – الأبنية المتوضعة على التل.

في الجهة الغربية من المدينة يقوم القصر الملكي، وهو مجمَّع كبير جداً يدل على ثروة المدينة في عصرها الذهبي. كان هذا القصر أكثر من

مجرد مسكن للأسرة المالكة، لأن وجود عدد من الأرشيفات الضخمة في المجمَّع يدل على أنه كان في الوقت نفسه مركزاً إدارياً للمملكة. ويبدو أن القصر قد ابتدأ بنواة صغيرة نسبياً، ثم جرى بعد ذلك توسيعه تدريجياً كلما سمحت ثروة الملوك المتعاقبين بذلك، فأضيفت إليه أقسام جديدة حول البناء الأصلي حتى اتخذ المجمَّع أبعاداً واسعة بمقياس ذلك العصر، حيث بلغت المساحة المسكونة منه نحو هكتار كامل (10,000م^2)، واحتوى على نحو تسعين غرفة، وخمس باحات واسعة، ونحو دزينة من السلالم الحجرية التي تؤدي إلى الطوابق العلوية، وحديقة داخلية. وكان للقصر في داخله عدد من الآبار، وعدد آخر منها في خارجه يُنقل منها الماء لاحتياجات سكان القصر من خلال نظام مائي خاص.

ويبدو لنا من فحص العديد من المباني والبيوت أن الثروة في المدينة لم تكن حكراً على الأسرة المالكة. وعلى سبيل المثال فإن أحد البيوت الكبيرة التي يملكها مواطن بارز يدعى رابانو، كان يحتوي على أربع وثلاثين غرفة، ومكتبة تضم عدداً متنوعاً من النصوص. ويبدو أن رابانو هذا كان موظفاً مهماً في بلاط الملك أميستامرو الثالث. وقد عُثر في بيت رابانو، كما في عدد آخر من البيوت المشابهة، على مدفن عائلي داخل سرداب مقنطر، تحت القسم المسكون أو تحت الباحة الخارجية، الأمر الذي ربما يدل على أن تقديس وعبادة الموتى كانت جزءاً مهمّاً من الدين العائلي. وفي أبنية متفرقة أخرى تم العثور على أرشيفات خاصة مستقلة عن أرشيفات القصر أو الكهنوت. ربما كانت لكتبة يتمتعون بمنزلة عالية في المجتمع؛ وهم بشكل ما يشبهون كبار الموظفين في الدولة الحديثة. بالإضافة إلى القصر الملكي الكبير في المنطقة الغربية من المدينة، هنالك قصر أصغر يقع إلى الشرق منه مباشرةً، ربما كان القصر الملكي الأقدم.

على مسافة ميل تقريباً إلى الغرب من المدينة، وعلى الشاطئ الجنوبي

مكتبة الفكر الجديد

للخليج المعروف اليوم بمينة البيضا (أي الميناء الأبيض)، تقوم مدينة الميناء، التي ربما كان اسمها في الماضي ماخازو. كانت مدينة الميناء أصغر بكثير من المدينة الرئيسية، وهي عبارة عن واجهة بحرية مفتوحة على الشمال عبر الخليج، وفي مقابل تلك الواجهة على الشاطئ تقوم تجمعات بيوت سكنية. وعلى مدار الخليج باتجاه الشرق، نجد منطقة المقابر الواسعة، التي استخدمت من قبل سكان الميناء وسكان المدينة على حد سواء. لم يكن هذا الميناء بمثابة النافذة البحرية الوحيدة لأوغاريت التي تصلها بالخطوط التجارية البحرية، فقد كان لها ثلاثة موانئ أخرى معروفة لنا من النصوص هي: أتاليج، وجِبالا، وخومولي. ونحن لا نعرف بالضبط أماكن هذه الموانئ، وإن كنا نرجح وجودها في جزيرة الحمامة إلى الشمال من أوغاريت. وهي اليوم عبارة عن جزيرة صغيرة يبلغ طولها نحو 150 متراً وعرضها نحو 30 متراً[1]. وربما كانت في الماضي مكاناً أوسع مما هو عليه الآن. وعلى الرغم من أن هذه الموانئ، قد خدمت كمراكز تجارية، فإنها ربما خدمت أيضاً باعتبارها قاعدة للصناعة السمكية.

عاش قسم كبير من سكان المملكة خارج منطقة المدينة والميناء، في قرى زراعية ضمت عدداً كبيراً من سكان المملكة، وشكلت عنصراً مهماً في اقتصاد الدولة. وقد تم التعرف من خلال النصوص على أسماء مئتين من هذه القرى، ولكن مواقعها التقريبية بقيت مجهولة. وجميع هذه القرى عبارة عن مستوطنات زراعية صغيرة بالمعايير الحديثة، إذ ليس من المتوقع أن عدد السكان في كل منها قد زاد كثيراً عن المئة نسمة.

---

(1) لا ندري بالفعل كيف لهذه الجزيرة الصغيرة أن تؤوي ثلاثة موانئ دفعة واحدة. ونرجح أن تكون هذه الموانئ التي استخدمتها السفن البحرية الأوغاريتية، خارج الواجهة البحرية لمدينة أوغاريت باتجاه الجنوب. خصوصاً وأن الاسم جَبالا يلفظ بطريقة مشابهة لاسم مدينة جبلة الساحلية. (المترجم).

ومع ذلك فإن هذه الشبكة من القرى كانت ذات أهمية حيوية في اقتصاد الدولة، لأن سكانها كانوا يعيشون على الزراعة والحراجة وتربية الماشية، ويقدمون المؤونة لبقية السكان. وقد بلغ تعدادهم نحو (25,000) نسمة وفق تقديرات الآثاريين. وهذا الرقم يشكل نحو ثلث العدد الإجمالي لسكان الدولة ككل.

كانت السلطة في أوغاريت بيد الأسرة الملكية التي مارست الحكم الوراثي. ويلقي العديد من الوثائق الكتابية في أرشيف المدينة، لاسيما الأرشيف الملكي، الضوء بشكل جزئي على تاريخ الملوكية خلال العصر الذهبي لأوغاريت. تعود أصول الملوكية في أوغاريت إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. ولدينا الآن اسما ملكين حكما في هذه الفترة المبكرة، وهما نقمادو الأول وابنه من بعده المدعو يقاروم. وفيما عدا الاسم، فإننا لا نعرف الكثير عن هذين الملكين، ولكن المرجح أنهما كانا بمثابة الأسلاف المؤسسين للسلالة الملكية التي حكمت خلال العصر الذهبي.

يمكن القول بأن العصر الذهبي قد ابتدأ مع حكم الملك أميستامرو الثالث (1390–1360ق.م). وبينما لم تطرح المسائل الداخلية على هذا الملك أية مشكلة، فإن أميستامرو قد واجه في مجال المسائل الخارجية أعقد المشاكل التي واجهها خلفاؤه أيضاً. فلقد عاش في عالم تسوده الإمبراطوريات الكبرى المتمثلة في الإمبراطورية الحثية إلى الشمال في منطقة الأناضول، والإمبراطورية المصرية في الجنوب. كانت هاتان الإمبراطوريتان في عداء وصراع دائم، وكانت أوقات توازن القوى بينهما بمثابة فترة استقرار وازدهار لمملكة أوغاريت. وبالمقابل فقد أفادت هاتان القوتان من وجود أوغاريت كحاجز بينهما، وكأرض محايدة لممارسة التجارة الدولية الآمنة. فكان دور أوغاريت في ذلك الوقت مثل دور بيروت في القرن العشرين قبل اندلاع الحرب الأهلية فيها أواسط السبعينيات.

مكتبة الفكر الجديد

اسم الملك	التاريخ التقريبي لابتداء حكمه
أميستامرو الثالث	1380 ق.م
نقمادو الثالث	1360
أرخالبو الثاني	
نقمبا السادس	1300
أميستامرو الرابع	
إبيرانوا السادس	
نقمادو الرابع	
حمورابي الثالث	1200

الشكل رقم (10): قائمة الملوك في عصر أوغاريت الذهبي.

أقام كل من أميستامرو الثالث، ونقمادو الثالث (خلال القسم الثاني من فترة حكمه) علاقات ودية مع مصر، وحاولا في الوقت نفسه الحفاظ على علاقة طيبة مع الحثيين، ولكن هذه العلاقة كانت مشوبة بالخوف بسبب قرب الإمبراطورية الحثية من أوغاريت. خلال فترة حكم نقمادو الثالث، تحولت أوغاريت على كرهٍ منها إلى دولة تابعة للإمبراطورية الحثية. فقد حدث أن دولتين، إلى الشمال من أوغاريت، واقعتين تحت الحكم الحثي وهما لوخاش وموكشي، أعلنتا التمرد على الملك الحثي شوبي لوليوماس، وطلبتا من أوغاريت الانضمام إليهما ولكنها رفضت، فقام بين الطرفين نزاع مسلح خسرت أوغاريت نتيجته قسماً من أراضيها. ويبدو أن النيران قد أتت على جزء من القصر الملكي خلال هذه الأحداث. وبعد أن أخمد الإمبراطور شوبي لوليوماس التمرد، أجبر أوغاريت على توقيع معاهدة تبعية له، ويبدو أن هذه المعاهدة لم تكن بلا فائدة لأوغاريت، لأن الإمبراطور قد أعطاها قسماً من أراضي الدولتين المتمردتين. وعندما

عادت دويلة نوخاش إلى التمرد مرة أخرى أمد نقمادو ملك أوغاريت الملك الحثي الجديد مورشيلي الثالث بقطعات عسكرية ساعدت على إخماد التمرد. ولدينا من الدلائل ما يشير إلى أن قوة أوغاريت قد ازدادت في هذه الفترة، وأن مساعدتها للحثيين كانت بداعي مراعاة مصالحها الخاصة، إلى جانب وفائها بالالتزامات التي رتبتها عليها معاهدة التبعية.

خلف نقمادو الثالث على العرش ابنه المدعو أرخالبو. وهذا الاسم يبدو لعلماء اللغات اسماً حورياً لا اسماً سامياً. ولعل أرخالبو هذا قد ولد من أم حورية من سكان أوغاريت، هي التي اختارت له هذا الاسم الحوري. ويبدو أن صعود هذا العاهل إلى العرش كان مؤشراً على ازديادٍ للنفوذ المؤقت الحوري في المملكة. وكان للحوريين، الذين سكنوا إلى الجنوب الشرقي من هضبة الأناضول، تواجد قوي في أوغاريت ربما يعود إلى بداية تأسيسها كمملكة في مطلع الألف الثاني، وربما كانوا قد حصلوا على نصيب في حكم المدينة قبل العصر الذهبي للمملكة. بعد مضي أقل من عشر سنوات على حكمه، شعر الحثيون بعدم وفاء أرخالبو بمعاهدة التبعية التي أبرمها أبوه معهم، فأعادوا إطباق قبضتهم على أوغاريت واستبدلوه بأخيه (ربما غير الشقيق) نقمبا الخامس، الذي يحمل اسماً سامياً، والذي يمثل صعوده إلى العرش عودة التقاليد السامية إلى الأسرة المالكة. ويبدو أن نقمبا قد أحكم سلطته على المسائل الداخلية للمملكة، تاركاً التعامل مع المسائل الدولية للحثيين.

لا نعرف إلا القليل عن فترة حكم أميستامرو الرابع ابن نقمبا. ويبدو أنه قد عانى من مشاكل داخلية نجمت عن صراعه مع إخوته، وعن طلاقه من زوجته التي كانت تنتمي إلى الأسرة المالكة في مملكة أمورو الواقعة إلى الجنوب من مملكة أوغاريت على البحر (حول منطقة طرطوس الحالية). كما لا نعرف إلا القليل أيضاً عن خليفتَيْ أميستامرو وهما إيبيرانوا، ونقمادو

الرابع. ولكن في سياق القرن الثالث عشر حدثت تغييرات رئيسية في السياسة الدولية، بدت لفترة قصيرة في صالح أوغاريت، ولكنها في النهاية جلبت الكارثة على المدينة. فقد كانت الإمبراطورية الحثية في حالة تحلل تدريجي، وكان من نتائج ذلك على أوغاريت، حصولها في البداية على مزيد من الاستقلالية أفادتها في إنشاء علاقات إيجابية مع مصر. ولكن طلائع خطر جديد بدأت تلوح في الأفق الغربي متمثلاً في «شعوب البحر».

لقد تمكن ملوك أوغاريت من جمع ثروات ضخمة استخدموها في كل ما يمكن للثروة أن تجلبه. ويقف القصر الملكي شاهداً على امتلاك الثروات الشخصية التي جُمعت عن طريق التجارة والنظام الضريبي. ولكن قوة الملك تعتمد على حكومته وعلى بطانته الخاصة التي يجب أن تُدفع لها المكافآت وتُقطع الأراضي لقاء خدماتها. ومع أن المال والسلطة مَفسدةٌ، إلا أن مفهوم الملوكية في أوغاريت كان ينطوي على مُثل نبيلة حمت الأسرة المالكة من الفساد. فقد كان الملك رجل مسؤولية. وكانت الفضائل الملوكية تحثه على العناية بالضعفاء والمسحوقين، وحماية حقوق الأرامل واليتامى، والمشاركة في مسؤوليات النظام القضائي للمملكة. وبالرغم من أننا لا نستطيع تقدير مدى التزام الملوك المتعاقبين بهذه المُثل، إلا أن مجرد وجودها يدل على المستوى الذي ارتقت إليه حضارة أوغاريت[1].

---

(1) وقد ورد في مواضع متفرقة من النصوص الأدبية الأوغاريتية إشارات إلى هذه الفضائل الملوكية، ومنها ما ورد على لسان ولي العهد يصب في معرض نقده لأبيه الملك كِرْتْ:

استمع إليَّ يا كِرْتْ النبيل، ولتصغِ أذنك لما أقول: عندما يغزو العدو تدبر وتلجأ إلى الجبال، إن يدك مغلولة إلى عنقك، لم تعد تقضي للأرملة ولا تنصف اليتيم، لازمت فراشَ المرض وأنِستَ السرير، فتنازل عن العرش لأملك مكانك. (المترجم).

كان الملك يمارس سلطته على الشؤون الداخلية والخارجية بواسطة قواته المسلحة المؤلفة من الجيش البري التقليدي والبحرية العسكرية، وكلاهما كان على درجة لا بأس بها من القوة والاستعداد، وكان العسكريون يشكلون شريحة مهمة في الموزاييك الاجتماعي الأوغاريتي. ولقد تألف الجيش البري من سلاحين رئيسيين هما سلاح المشاة وسلاح المركبات؛ والأول هو الأضخم والأكثر عدداً، وكان أفراده مسلحون جيداً بالحراب والمقاليع والدروع وما إليها، وبعضهم شكَّل قطعة مخصصة للنبّالة مهمتها رمي العدو بالسمهم عن بُعد قبل بدء الهجوم. أما قطعات المركبات، فكانت على قلتها العددية، أكثر كفاءة في العمليات القتالية، وهي تعادل اليوم سلاح الدبابات. ويتكون هذا السلاح من خيَّالة «ماريانو»، وهم فئة خاصة من المحاربين يتناقلون مهنتهم العسكرية ويحافظون عليها على أساس وراثي، وهم يُدعمون بالسُّياس وخدم الإصطبلات للعناية بخيلهم وعرباتهم. وكانت القوة الرئيسية للجيش وقوامها من العسكريين المحترفين، تُرفد من خلال نظام التجنيد الإجباري. فكان لزاماً على كل قرية في المملكة أن تقدم شباباً أكفاء للخدمة العسكرية بشكل دوري. وفي أوقات الحرب كان يرتفع عدد المنضمين إلى القطعات العسكرية عن طريق النفير العام.

وكقوة بحرية وتجارية، احتاجت أوغاريت إلى قطعات بحرية لتأمين الحماية للمراكب التجارية، وللدفاع عن الدولة في أوقات الحرب. لا نعرف بالضبط حجم سلاح البحرية هذا، ولكن يبدو من الشواهد النصية أن المملكة قد امتلكت في القرن الثالث عشر أسطولاً بحرياً ضخماً بالنسبة إلى حجمها. فقد وصلتنا رسالة من الأيام الأخيرة لحياة أوغاريت تشير إلى تجهيز 150 سفينة لدعم القوة البحرية الرئيسية التي لا بد من أن تعدادها يفوق ضعف هذا الرقم. وكما هو الحال في الجيش البري، فإن

البحرية كانت تُدعم أيضاً من خلال نظام التجنيد الإجباري، وكان هؤلاء المجندون يأتون من البلدات الساحلية، حيث تعود الرجال هناك على الإبحار سواء لأغراض تجارية أم لأغراض الصيد.

وقد شكل موظفو الكهنوت شريحة اجتماعية أخرى مهمة في أوغاريت. فقد كان معبدا بعل وداجان يشرفان على المدينة، ولم يتفوق عليهما من حيث الحجم إلا القصر الملكي. وبالطبع فإن مثل هذه المعابد الكبيرة كانت تتطلب عدداً ضخماً من الموظفين الدينيين لخدمتها. فقد كان الكهنة الكُثر يقومون على خدمة المعبد وقيادة الصلوات فيه، تحت إشراف الكاهن الأعلى المسؤول عن مؤسسة المعبد وما يتصل بها من ممهم دينية، وهم ينتظمون في أُسر كهنوتية بلغ عددها وفق أحد النصوص اثنتي عشر أسرة. وكان هؤلاء يحصلون على جزء من دخلهم لقاء خدمتهم في المعبد، وعلى الجزء الآخر من الأراضي التي يمتلكونها، والتي وهبها القصر لهم في بعض الحالات. وكان الكهان بشكل عام، والكاهن الأعلى بشكل خاص، مسؤولين عن حفظ الأدب الكلاسيكي الديني، ونقله لمن يخلفهم. ولدينا دليل على ذلك من إحدى مخطوطات أسطورة البعل التي مهرها بتوقيعه كاهن أعلى يدعى عتن برلن باعتباره من قام بنسخها. ولعل مما له دلالة كبيرة في هذا المجال أن بعضاً من أهم النصوص الأدبية والدينية قد عُثر عليه في أرشيف المعبد وأرشيف الكاهن الأعلى، الأمر الذي يقدم دلالة إضافية على دور الكهان ككتبة ومؤرشفين. إلى هذه الممهم الأدبية والدينية تضاف ممهم ذات طبيعة عسكرية، وهذا ما نعرفه من نصوص إدارية تذكر الكهان كجزء من القوة العسكرية المساعدة، ومن جداول الرواتب التي تُدفع للعسكريين. وفي دورهم العسكري المساعد هذا، كانوا يقدمون المشورة بخصوص الاستراتيجية والعمليات العسكرية، ويستطلعون فأل القادة العسكريين. أي إن وضع أحدهم كان

مكتبة الفكر الجديد

يتجاوز مجرد كونه رجل دين ملحق ببارجة حربية، على ما هو معمول به في الوحدات البحرية الحديثة.

إلى جانب الكهان، هنالك فئة أخرى من رجال الدين يعرفون باسم المقدسين، أو المنذورين. ووفق البينات النصية التي بين أيدينا فإن مَنْ ورد ذكرهم في هذه الفئة كانوا من الرجال، ولكن هذا لا يستبعد وجود نساء بينهم أيضاً. ولربما كانت وظيفة هؤلاء ذات صلة بشكل ما بالفعالية الجنسية في المعبد، لأن نصوصاً أخرى تشير إليهم باعتبارهم عاهرين مقدسين. وكان دورهم في العبادة على صلة حميمة بفعاليات عبادة خصب يعتقد أهلوها بأن خصب الأرض يعتمد على خصب الآلهة. من هنا فإن الفعل الجنسي في سياق مثل هذه العبادة، كان يُقصد منه تأمين خصب الآلهة، ومن ثم خصب الأرض.

إن مؤسسة دينية كبرى كالمؤسسة الأوغاريتية، كانت تتطلب إلى جانب الموظفين الدينيين الأساسيين مجموعة من المساعدين الذين تتراوح خدماتهم بين الحفاظ على نظافة المعبد، وبين تقديم العون للكهان في طقوس الأضاحي والقرابين، وكانوا يدعون بخدم المعبد. وقد قدم لنا أحد النصوص الإدارية لائحة بأسماء ستين من هؤلاء الموظفين الثانويين. وهنالك أيضاً فئة الموسيقيين المحترفين الذين كانوا يعزفون الألحان المصاحبة لصلوات المعبد، وهم ينقسمون إلى عازفين على الآلات وإلى مغنين.

لم تقتصر الفعاليات الدينية على مدينة أوغاريت، على الرغم من أن العبادة في معبدي المدينة كانت، على ما يبدو، تمثل نوعاً من الدين الرسمي للدولة. فبعيداً عن أوغاريت كان هنالك مقامات دينية وحُرم في المناطق الريفية، يخدمها ويشرف على الطقوس فيها كهان محليون. ومع أن سكان القرى كانوا يشاركون جزئياً في الطقوس الرسمية، إلا أن حياتهم

مكتبة الفكر الجديد

الدينية كانت تتركز بشكل رئيسي حول المقام الديني المحلي بخدمه وكهنته المحليين.

وكأي مدينة كوزموبوليتانية، فقد تكوَّن مجتمع أوغاريت من مزيج غني من العناصر السكانية. وكان هنالك قطاع من المدينة لإقامة التجار والديبلوماسيين الأجانب. وكانت كل من الإمبراطورية المصرية والإمبراطورية الحثية ممثلتين في أوغاريت من خلال الشركات التجارية والسفراء الديبلوماسيين، إبَّان الفترات المتعاقبة من عصر المملكة الذهبي، إضافةً إلى ممثلين من جزيرة قبرص وجزيرة كريت. وكان الكريتيون يبنون منازلهم في الغالب على النمط المعماري الكريتي لا على النمط المحلي. كما تواجد في أوغاريت مستوطنون جاؤوا من الدويلات الرافدينية الواقعة إلى الشرق من أوغاريت.

وبصرف النظر عن هؤلاء الأجانب الذين أقاموا في أوغاريت بداعي التجارة أو الممهم الديبلوماسية، فإن سكان مدينة أوغاريت كانوا من أصول إثنية متنوعة، على عكس سكان الريف الذين كانوا متجانسين وتغلب عليهم الأصول المحلية السامية. فقد تألف سكان المدينة من أغلبية سورية محلية، ومن عناصر حورية، وقبرصية، وكريتية، ومصرية، ويونانية آخية، وغيرها. هذا التنوع الإثني والطابع الكوزموبوليتاني، نجد انعكاساً له في تعدد اللغات التي دُونت بها النصوص الأوغاريتية، فإلى جانب الأوغاريتية لغة الدولة، لدينا مدوّنات بالأكادية التي كانت لغة التجارة والديبلوماسية في ذلك الوقت، وبالحورية (وهي لغة غير سامية استُخدمت في مناطق الجزيرة السورية وشمال وادي الرافدين وجنوب الأناضول)، والحثية، والمصرية، والقبرصية. إن العديد من هذه اللغات قد استخدم، على ما يبدو، في أغراض رسمية، ولكن بعضها، لاسيما اللغة الحورية، كان مستخدماً إلى جانب الأوغاريتية في الحياة اليومية.

مكتبة الفكر الجديد

وهكذا، فإن أوغاريت كانت من الناحية الإثنية واللغوية «بابل» حقيقية (أي مدينة تختلط فيها اللغات والأعراق). ومع ذلك كله يبدو أنها عاشت حياة داخلية منسجمة، وكان غياب النزاعات الإثنية والدينية فيها انعكاساً لطابعها الكوزموبوليتاني، وللطبيعة التوفيقية التي اتسمت بها الديانات التي تعايشت فيها.

اعتمد الاقتصاد الداخلي للدولة على الزراعة والصناعات الحرفية والغذائية. اتسمت الزراعة الأوغاريتية بالتنوع. فقد أنتجت الحبوب والعنب والزيتون، إلى جانب محاصيل ثانوية أخرى. ومن العنب والزيتون صنعت الخمر والزبيب. وبسبب كثرة الحراج في مناطقها، تيسرت لها المادة الخام لبناء البيوت وصناعة السفن، وصدّرت الفائض عن حاجتها إلى مصر التي كانت تفتقر إلى الحراج. كما ربى الأوغاريتيون الماشية والأغنام التي قدمت للاقتصاد الصوف واللحوم. وفيما يتعلق بالصناعات الحرفية، أنتج الأوغاريتيون النسيج والأسلحة. وفي مجال النسيج تميزوا بشكل خاص في صناعة العباءات وغيرها من مادة الكتان ومادة الصوف، للاستهلاك الداخلي والتصدير. وكان استخدامهم لأصبغة مميزة وسيلة لإنتاجهم بضائع غالية الثمن مثل الأصواف، والخيوط المصبوغة بمادة الأُرجوان التي اشتهر بها كنعانيو الساحل السوري. وفيما يتعلق بصناعة الأسلحة، صنعوا السيوف البرونزية وصدروا منها إلى مصر. وفي مجال التعدين أنتجوا آنية معدنية على درجة عالية من الأناقة ودقة الصنعة استخدموا في صناعتها البرونز والذهب وغيرهما.

هذا الاقتصاد الداخلي المتين قد ساهم في ثروة البلاط الملكي من خلال النظام الضريبي. فقد وُضعت الضرائب، والأعشار (جمع عُشر، وهو نوع من الضريبة على الغلة الزراعية يعادل عُشر المحصول) على إنتاج الحبوب والخمر والزيت واللحم وغيرها من المنتجات، وجرى

مكتبة الفكر الجديد

تحصيلها إما عيناً أو نقداً، ووُضعت العقوبات القانونية الرادعة على محاولات التهرب من الضريبة. وبهذه الطريقة ساهم ازدهار الاقتصاد في ثروة الأسرة المالكة التي فَرضت أيضاً نوعاً من الضريبة غير المباشرة، تمثلت في عمل السخرة الذي كان يفرضه الملك على الشباب الذين يجندون للعمل في أراضي الملك أو أراضي بطانته.

ولكن التجارة هي التي قدمت المساهمة الكبرى في ثروة ومكانة أوغاريت، زادت بكثير على ما قدمته الثروات الطبيعية والاقتصاد الداخلي. إن إمكانية أوغاريت الكبرى على القيام بالنشاط التجاري الفعال، جاءت نتيجة لموقعها الجغرافي الطبيعي على البحر المتوسط، في مكان يقع على مفارق طرق تجارية بحرية وبرية، بين إمبراطوريتين عظيمتين في ذلك الوقت، فتحكمت بتجارة منطقة شرقي المتوسط. وقد أفادت أوغاريت من كل هذه الفرص واستثمرتها إلى الحد الأقصى خلال العصر الذهبي للمملكة.

لقد حملت الخطوط التجارية البرية البضائع من وإلى أوغاريت، ووصلتها بكلٍّ من الأناضول، والدويلات السورية الأخرى، وبلاد الرافدين، ومصر. واستخدمت القوافل البرية الحمير كوسيلة للنقل، فصارت سلعة نادرة وغالية الثمن في بلد تجاري مثل أوغاريت. ولدينا نص إداري يشير إلى شراء نحو 400 حمار، الأمر الذي يدل على ضخامة القوافل التجارية العاملة في أوغاريت. إلا أن الخطوط التجارية البحرية كانت أكثر أهمية، وهي التي وصلت ميناء أوغاريت بعالم شرقي المتوسط. بعض هذه الخطوط كانت تصل أوغاريت ببلدان يمكن الوصول إليها بالطرق البرية، ولكن النقل البحري كان مفضلاً كلما كان ممكناً لأنه أرخص من النقل بواسطة الحمير، ويسهل شحن كميات أكبر من البضائع. على طول هذه الخطوط البحرية، تاجرت أوغاريت مع موانئ في شرقي

المتوسط، مثل جبيل وصور وصيدون وعكا، ومع مصر وقبرص وكريت، ومع الإمبراطورية الحثية من خلال مينائها الرئيسي أورا.

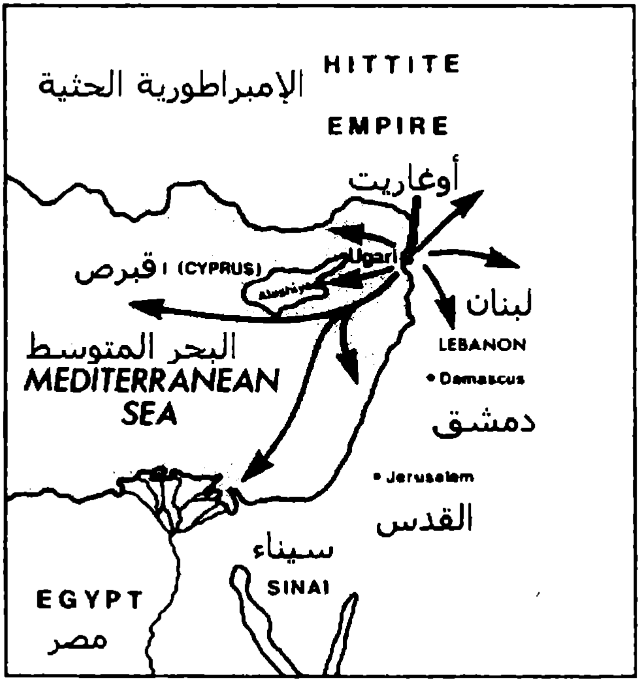

الشكل رقم (11): الموقع الجغرافي وطرق التجارة

كان استخدام أوغاريت للخطوط البحرية الرئيسية أمراً حيوياً بالنسبة إلى نجاحها وازدهارها. ولكن استخدام هذه الخطوط تطلَّب امتلاك أسطول تجاري ضخم مؤلفٍ من سفن تعود ملكيتها لأفراد مستقلين عديدين. كما أن الملك نفسه، على ما يبدو، قد مارس النشاط التجاري البحري. بعض السفن الأوغاريتية كان ضخماً بمعيار ذلك الزمن، ولكن معلوماتنا عن حال هذه السفن لم تتيسر من اكتشاف أي سفينة أوغاريتية، وإنما من العثور على عدد من المراسي التي يشف حجمها عن وزن السفن التي استخدمتها. كانت هذه المراسي مصنوعة من الحجر، وهي عادة ما

زالت متبعة إلى اليوم في عدد من الموانئ على الشاطئ الشرقي للمتوسط. أما الحجر المستخدم في صناعتها فكان من مصادر محلية، ويتنوع من الحجر الرملي إلى الحجر الجيري إلى البازلت والغرانيت. من بين ثلاثين مرساة اكتُشفت في أوغاريت ومرفئها هنالك أربع مراسٍ ضخمة تزن واحدتها نحو نصف طن، وهنالك مراسٍ يتراوح وزنها بين 110 و200 كغ. وقد قرر الاختصاصيون أن مرساة وزنها نحو نصف طن يمكن استخدامها في سفينة يبلغ وزنها 200 طناً. ويبلغ طولها نحو 23 متراً، وتبلغ حمولتها من المعدن أو الحبوب أو السلع الأخرى قرابة 500 طنا، من هذه المعلومات يتبين لنا مدى رخص النقل البحري مقارنةً بالنقل البري بواسطة الحمير. ومن الملفت للانتباه أن سبع عشرة مرساة من مجموع المراسي المكتشفة قد وجدت في منطقة المعابد، الأمر الذي يدلنا على مدى تخلل الحياة البحرية في الأفكار الدينية والنشاطات العملية لسكان أوغاريت. ولدينا الآن معلومات حديثة عن الملاحة، جاءت من تنقيبات أثرية تحت الماء على مبعدة من الساحل التركي الجنوبي أمام رأس جليدونيا، حيث عُثر على هيكل سفينة غرقت في المكان حوالي عام 1200 ق.م. يبلغ طول السفينة عشرة أمتار فقط، ومع ذلك فقد قُدرت حمولتها من سبائك النحاس نحو طن كامل، ومن القصدير نحو 250 كغ. ويبدو أنها كانت تعمل على الخط التجاري بين جنوب الأناضول وبعض موانئ شرقي المتوسط، وأن شحنة القصدير كانت موجهة إلى أوغاريت.

من المرجح أن أوغاريت وميناءها قد لعبا دوراً في عمليات استئجار وشراء السفن للأغراض التجارية. فلدينا وثيقة من أرشيف القصر، هي عبارة عن رسالة موجهة من مسؤول مصري مقيم في أوغاريت إلى الفرعون أمنحوتب الثالث (أواسط القرن الرابع عشر ق.م) يعلمه فيها برغبة ملك قبرص في شراء بعض السفن من مالكيها المصريين، ويقنعه

مكتبة الفكر الجديد

بالموافقة على الصفقة، لأن موافقته ضرورية لإبرامها. في ذلك الوقت كانت عمليات بناء السفن ناشطة في مصر، ولكن يبدو من هذه الرسالة أن أوغاريت كان لها دور تلعبه في عملية التسليم التجاري للسفن المباعة إلى طرف ثالث. ولدينا نص آخر يصف عملية استئجار عدد من السفن من ملك جبيل، لاستخدامها في إحدى العمليات التجارية. وقد كان على ملك أوغاريت وفق هذا النص أن يدفع لملك جبيل 540 شاقلاً من الفضة بمثابة كفالة، فإذا أُعيدت السفن في حالة جيدة، أعاد ملك جبيل لملك أوغاريت الكفالة بعد حسم مبلغ الإيجار المتفق عليه، وإذا فُقدت السفن لأي سبب من الأسباب يخسر ملك أوغاريت الكفالة المدفوعة.

كانت حركة السفن والحمير من وإلى أوغاريت مصدر ثروتها. فقد استوردت العاج والذهب من مصر، والفضة والقصدير من الدولة الحثية، والنحاس من قبرص. كما صدرت النحاس والأخشاب إلى مصر، والحبوب والذهب إلى الدولة الحثية، والنسيج المحلي والزيت والخمور إلى عدد من الأقطار. إن حركة البضائع هذه عبر المملكة مع ما تُغله من مكوس وضرائب، صارت أساس ثروة المملكة.

تُعبّر تجارة المعادن أكثر من غيرها من أنواع التجارة، عن الإمكانيات التي يقدمها لأوغاريت وضعها الخاص. كانت القاعدة النقدية للعالم القديم في ذلك الوقت هي الفضة، وعلى وجه الخصوص تلك الوحدة من الفضة المدعوة بالشاقل (شيكل)، التي كانت في الوقت نفسه وحدة وزن ووحدة نقدية. وكانت الفضة تُستخرج بشكل رئيسي من شمال شرق الأناضول، وكان الحثيون يتحكمون بتجارتها المبدئية. كما كانت قيمة بقية المعادن تقدر على أساس شاقل واحد من الفضة وتقدم اللائحة التالية في الشكل رقم 12 ما يعادل الشاقل الفضي من بعض المعادن الأخرى:

مكتبة الفكر الجديد

شاقل فضي عدد 1 = 227 شاقلاً من القصدير.

شاقل فضي عدد 1 = من 200 إلى 235 شاقلاً من النحاس.

شاقل فضي عدد 4 = شاقلاً ذهبياً واحداً.

الشكل رقم 12: الأسعار التقريبية لبعض المعادن خلال عصر أوغاريت الذهبي

وعلى الرغم من أن الفضة كانت بمثابة القاعدة النقدية للنظام التجاري، إلا أن الذهب كان سلعة أغلى ثمناً. كان الذهب يُشترى من مصر بقيمة رخيصة نسبياً، لأنه يستخرج من مناطق مصر العليا، وربما من أواسط الجزيرة العربية أيضاً. وقد أفادت أوغاريت من شراء الذهب بسعر رخيص من مصر وبيعه إلى الحثيين بسعر مرتفع، أو مبادلته بالفضة أو المواد الخام والسلع المصنعة. وهكذا، فمن خلال دورها كوسيط تجاري بين مصر والأناضول، استطاعت أوغاريت الإفادة من تعاملها بسوق الذهب والفضة، وغيرها من المعادن، وجعلت من نفسها مركز العالم القديم لتجارة المعدن. ومن الجدير بالذكر هنا أن الحديد في ذلك الوقت كان من المعادن الثمينة النادرة، لأنه لم يكن معروفاً ومستخرجاً إلا على نطاق ضيق، ولم يدخل في حيز الإنتاج التجاري إلا بعد استهلال عصر الحديد نحو عام 1200 ق.م، وكان استخراجه حكراً على منطقة شمال شرقي الأناضول، ويباع بثمن مرتفع لا يقدر عليه إلا الملوك والأثرياء.

إن الثروة التي راكمتها أوغاريت قد رفعت من مستوى معيشة أهلها الذي تجلى في المساكن الكبيرة وفي محتوياتها، ومحتويات القصر الملكي، التي تدل على امتلاك الثروات من قبل العديد من سكان أوغاريت. فلقد عُثر على المجوهرات والأشياء المصنوعة من الذهب، وفازات السيراميك، والمنحوتات العاجية، وغيرها من الأعمال الفنية الراقية التي تدل على مجتمع مزدهر. وبكلمة موجزة، فإن أوغاريت لم تكن الدولة

مكتبة الفكر الجديد

الأكبر ولا الأغنى في منطقة الشرق القديم، ولكنها من منظور نسبي كانت دولة صغيرة وغنية وكوزموبوليتانية. وقد ترافقت ثروتها مع حضارة عالية، وفنون راقية، وآداب رفيعة، وموزاييك من الأديان المتعايشة. كانت مدينة حضرية ومتمدنة قل مثيلها في العالم القديم. ولكن حضارتها لم تدم، وكانت نهايتها محكومة بظروف خارجية لا سلطة لها عليها، ولم يثبت لنا حصول تدهور معنوي أو اجتماعي ساهم في انهيارها.

لقد كانت حركة شعوب البحر عبر منطقة شرقي المتوسط، نحو نهاية القرن الثالث عشر ق.م، هي التي جلبت الدمار على أوغاريت. وتعبير «شعوب البحر» هو تسمية غير دقيقة لوصف أربع مجموعات بشرية على الأقل، عملت مع بعضها أحياناً وفي أحيان أخرى انقسمت إلى مجموعتين استخدمت إحداهما السفن البحرية وكان للأخرى قوات تعمل على الأرض بشكل رئيسي. من المحتمل أن هذه الشعوب قد خرجت من مناطق بحر إيجة وجنوب شرقي أوروبا في أواخر القرن الثالث عشر، وشقت طريقها حرباً باتجاه الشرق نحو عالم المتوسط الشرقي. وإلى هؤلاء يُعزى تحلل وسقوط الإمبراطورية الحثية، وهم الذين هاجموا مصر بحراً وبراً، وورد ذكر فريق منهم في كتاب التوراة تحت اسم الفليستين، وهم الذين استوطنوا القسم الجنوبي من الساحل الفلسطيني، وهددوا القبائل العبرانية التي كانت قد استوطنت منذ مطلع القرن الثاني عشر في مناطق المرتفعات الفلسطينية الشرقية. ويُعزى دمار أوغاريت إلى تلك الجماعات التي عبرت منطقة الأناضول ودمرت الإمبراطورية الحثية في طريقها إلى بلاد الشام.

من المحتمل أن نهاية أوغاريت قد حلت في عهد حمورابي آخر ملوكها (هنالك حالة من عدم اليقين بخصوص أواخر ملوك أوغاريت). ولدينا رسائل تم اكتشافها في رأس شمرا تعود إلى الأوقات الأخيرة من

حياة أوغاريت، تقدم لنا بعض المعلومات بخصوص ما جرى. فقد طلب كل من الملك الحثي وملك قبرص مساعدة أوغاريت على الوقوف في وجه زحف شعوب البحر، فأرسل ملكها أسطوله البحري غرباً ليحمي مداخل المياه السورية عند بحر إيجة، كما أرسل قواته البرية شمالاً لدعم الجيش الحثي في وقف التقدم البري. ولكن الجيش والأسطول هُزما، وغدت أوغاريت بدون دفاعات ذات قيمة تذكر في وجه الغزو، فكان أن قُضي على المدينة بسهولة، فهرب قسم من السكان وذُبح الآخرون وتُركت المدينة طُعماً للنيران التي أتت على الكثير من أبنيتها حتى أساساتها، أما ما تبقى منها فقد هجره سكانه ولم يعودوا إليه، فآل إلى التآكل التدريجي. ومن الواضح أنه لا شعوب البحر قد أعادوا بناء المدينة أو بذلوا أي محاولة للحفاظ على ما تبقى منها، ولا سكانها عادوا إليها. لقد ماتت أوغاريت، ولكنها خلّفت للعالم الحديث تركة غنية من ثقافتها وآدابها.

مكتبة الفكر الجديد

الفصل الرابع

اللغة والأدب

مكتبة الفكر الجديد

على الرغم من الأهمية الكبيرة للبقايا المادية لمدينة أوغاريت، إلا أن ما خلّفته لنا من نصوص يأتي في المقام الأول من تِركتها الخاصة والمميزة. فبدون هذه النصوص لم نكن لنحصل إلا على انطباعات بصرية عن مخططها العمراني وأبنيتها الرئيسية، ولم نكن لنعرف من اللقى الأثرية إلا القليل عن نمط حياتها. إن الماضي يبقى مجرد هيكل عظمي إذا لم تدعمه النصوص وتملأْه بالعضلات والحياة، فنعرف عن أسماء الناس وحياتهم اليومية وتبادلاتهم التجارية وآمالهم ومخاوفهم، وما إلى ذلك من تفاصيل تؤلف نسيج التاريخ الإنساني.

إن هذه النصوص ليست مهمة من أجل دراسة حياة وتاريخ أوغاريت فقط، بل ومن أجل إجراء الدراسات المقارنة للعالم الذي عاشت فيه أوغاريت وعالم «العهد القديم». ومما يزيد من أهمية نصوص أوغاريت هو القلة النسبية لشواهد نصية مشابهة لها من تلك المناطق الجنوبية الفلسطينية التي استوطنها العبرانيون خلال الفترة التوراتية. فمن الفترة المدعوة بالتاريخية (من يشوع إلى سفر الملوك الثاني) لم يعثر الآثاريون إلا على أقل من عشرين نصاً عبرياً كاملاً لا يوجد بينها نص طويل، وكذلك على 150 ختماً نُقشت عليها كلمة واحدة أو اثنتين هما في الغالب اسم صاحب الختم، وعلى عدة مئات من مقابض الجرار الفخارية نُقشت عليها بضع كلمات. هذه النقوش الكتابية القليلة ومعها نقشان من مملكة مؤاب في شرقي الأردن، هي شواهدنا النصية المبكرة ذات الصلة بدراسة «العهد

مكتبة الفكر الجديد

القديم». وهذا يعني أنه فيما عدا كتاب العهد القديم نفسه لم يصلنا من الفترة المبكرة ما يمكن وصفه فعلاً بالنصوص الأدبية.

هذا النقص في المادة النصية المقارنة جرى تعويضه بالنصوص العديدة من أرشيفات مصر (مثل مراسلات تل العمارنة) ومن أرشيفات وادي الرافدين (مثل نصوص مدينة ماري)؛ ولكن هذه المصادر على أهميتها للدراسة المقارنة لنصوص العهد القديم تبقى ذات قيمة ثانوية، لأن معظمها قد دُوِّن إما بالهيروغليفية المصرية أو بالأكادية، واللغة المصرية تنتمي إلى عائلة لغات مختلفة عن تلك التي تنتمي إليها العبرية، أما الأكادية بفرعيها الآشوري والبابلي فعلى الرغم من أنها لغة سامية إلا أنها ليست من أقرباء العبرية. يُضاف إلى ذلك وجود فوارق ثقافية واسعة بين هذه الحضارات، وبالتالي بين الأدبين المصري والرافديني وبين الأدب العبري. لهذه الأسباب وغيرها، فإن قيمة هذه التركة الضخمة من النصوص المصرية والرافدينية. هي قيمة ثانوية بالنسبة إلى الأدب العبري.

على هذه الخلفية العامة ينبغي النظر إلى قيمة النصوص الأوغاريتية. تحتوي أرشيفات أوغاريت على نصوص بلغات متعددة، إلا أن المكتوب منها باللغة الأوغاريتية يأتي في المقام الأول من حيث أهميتها للدراسات المقارنة مع العهد القديم، نظراً لقرب الأوغاريتية من العبرية. ولقد أعطتنا هذه الأرشيفات حتى الآن نحو 1400 رقيماً منقوشاً بالأوغاريتية؛ بعض هذه الرُّقُم متشظ وقليلها قابل للقراءة، إلا أن معظمها يقدم مادة مهمة للمقارنة مع العهد القديم. قد يبدو هذا العدد من الرقم قليلاً إذا ما قورن بالعدد الهائل من الرقم الذي اكتُشف في تل مرديخ (إيبلا) في الشمال السوري (انظر الفصل السادس)، إلا أنه يقدم كماً من المعلومات مقارنة بالمادة الهزيلة التي تم العثور عليها باللغة العبرية خارج كتاب العهد القديم نفسه.

مكتبة الفكر الجديد

كتبت رُقم، أو ألواح، رأس شمرا بالخط الأبجدي المسماري، الذي حُلت رموزه من خلال جهود فيروللو وباير ودورم. بالرغم من تسميتنا لهذا الخط بالأبجدي، إلا أنه لا يشبه الأبجدية الحديثة التي نعرفها؛ فهو شبه مقطعي، ولا يحتوي إلا على حرف واحد (يكتب بثلاثة أشكال) يعطينا مفتاحاً لتمييز الحروف الصوتية، وبالتالي لتهجئة الكلمة. لهذا فإن معظم الكلمات الأوغاريتية، إذا ما نقلناها عن المسمارية، تبدو للعين الحديثة خارجة عن المألوف وغير قابلة للتهجئة في غياب معرفتنا باللغة الحية نفسها. لنأخذ الكلمات الأوغاريتية التالية على سبيل المثال:

ي د = يَدْ	ك ل ب = كلب
م ل ك = مَلِكْ	ن ذ ر = نذر

مثل هذه الكلمات الأوغاريتية المكتوبة بحروف ساكنة، يمكن لنا تحريكها وتهجئتها اعتماداً على استخدامها في اللغات السامية الأخرى. ولكنَّ إضافة الحروف الصوتية (أو الحركات في اللغة العربية مثلاً) المفقودة أصلاً في الخط الأوغاريتي تبقى عملية تخمينية افتراضية.

إن الحرف الساكن الوحيد الذي أُدخلت عليه الحركات هو الحرف المدعو «ألف» بالعربية والعبرية، والذي لا يوجد له معادل دقيق في الأبجدية الإنكليزية؛ فهو حرف حلقي يصدر عن الحنجرة (وهو ليس بعيداً من حيث النطق عن أداة التنكير في اللغة الإنكليزية «a»). ونحن في النقل عن الخط الأوغاريتي نمثله بالإشارة ʻ . وله ثلاثة أشكال في الخط الأوغاريتي نمثلها على التوالي بالطرق التالية: aʻ، iʻ، uʻ (= أَ، إ، ؤ)[1]، على ما هو موضح في الشكل رقم (13). وهكذا فقد قدَّم لنا الكاتب الأوغاريتي

---

(1) من هذا الشرح، نلاحظ أن الحرف المذكور ليس الألف وإنما الهمزة. والأفضل أن ندعوه كذلك سواء في الأوغاريتية أم العربية. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

مفتاحاً لتهجئة وتصويت الكلمات التي تحتوي على هذا الحرف مثل: ءَب (أب)، ءَدم (إنسان)، إِل (إله)، ل ب ءُ (أسد).

معادله العربي	الحرف الأوغاريتي	مقابله العربي	الحرف الأوغاريتي
ك	𐎋	أ	𐎀
ل	𐎍	إ	𐎛
م	𐎎	ؤ	𐎜
ن	𐎐	ب	𐎁
س	𐎒	ج	𐎂
(س)	𐎝	د	𐎄
ع	𐎓	ذ	𐎏
غ	𐎙	هـ	𐎅
ف	𐎔	و	𐎆
ص	𐎕	ز	𐎇
ق	𐎖	ح	𐎈
ر	𐎗	خ	𐎃
ش	𐎌	ط	𐎉
ت	𐎚	ظ	𐎑
ث	𐎘	ي	𐎊

الشكل رقم (13): الأبجدية المسمارية الأوغاريتية

إن من نتائج مثل هذا القصور في النظام الكتابي، هو أن جملةً ما في اللغة الأوغاريتية ربما بدت لنا عصية على النطق، لأن الحروف الصوتية (أو الحركات) غائبة تقريباً، على الرغم من أن الذين استخدموها في الأصل كانوا يعرفون كيفية نطقها. لننظر على سبيل المثال إلى الجملة التالية وترجمتها، وهي من ملحمة بعل وعناة:

ي ش أُ. ج هـ. و ي ص ح. ب ع ل. مت.

يرفع. صوته. ويصيح. بعل. مات.

مكتبة الفكر الجديد

توضح هذه الجملة ملمحاً آخر من ملامح الخط الأوغاريتي، يشترك فيه مع خطوط سامية أخرى مثل العربية والعبرية. فالعديد من الحروف الساكنة في هذا الخط ليس لها ما يعادلها تماماً في الأبجدية الإنكليزية، وتمثل أصواتاً غير مستخدمة عادة في اللغات الغربية (الهندو- أوربية) الحديثة، سواء في ما يقابلها من حروف أو في شاراتها الصوتية. وفي الشكل رقم (13) تجدون قائمة بالرموز الأبجدية الأوغاريتية مع ما يقابلها من حروف صامتة أو صوائت.

إن غياب التصويت الكامل للحروف لم يخلق أي صعوبة للكاتب أو للقارئ الأوغاريتي، تماماً مثلما هو الحال بالنسبة إلى كاتب أو قارئ العربية أو العبرية الحديثة، وذلك على عكس القارئ الحديث للنص الأوغاريتي الذي يعاني من مشكلة عدم معرفته باللغة الأوغاريتية الحية مثلما كان ينطقها أهلها. لننظر على سبيل المثال إلى الجملة الإنكليزية التالية مكتوبة دون حروف صوتية: th. ct. n. th. mt!

ما الذي تعنية هذه الجملة؟ وماهي الحروف الصوتية الغائبة؟ ربما كانت: The cat on the mat أي القطة على السجادة. هذا صحيح تماماً. ولكننا نستطيع لفظ الجملة نفسها بطرق أخرى، وذلك بإدخال حروف صوتية مختلفة:

The coat in the moat أي المعطف في الخندق.

The cut in the meat أي الثلم في اللحم.

ولا شك في أننا نستطيع العثور على طرق أخرى للفظ الجملة نفسها.

إن السياق الذي ترد فيه الجملة، عادةً، هو الذي يذلل كل الصعوبات في قراءتها بالنسبة إلى الأوغاريتي القديم الذي يألَف لغته ويعرف كل كلماتها. ولكن المشكلة التي يعانيها القارئ الحديث تكمن في أن كلمات هذه

اللغة، أو غيرها، ليست معروفة في جُلها على وجه التأكيد، ولا مناص أمامه من مواجهة بعض الالتباسات. وينجم عن هذا الوضع أن معظم ترجمات النصوص الأوغاريتية تحمل في طياتها شيئاً من التقريبية وعدم التأكد.

ولعل مما يزيد في الصعوبة التي يخلقها غياب التصويت في اللغة الأوغاريتية، هو الحالة التي وصلتنا فيها رُقمها. فالعديد من هذه الرقم وصلنا إما مكسوراً أو مشوهاً في العديد من المواضع، وهذا ما يترك سطوراً غير مكتملة، وقصصاً غير منتهية، ومقاطع لا بقية لها. وحتى في الحالة التي يصلنا فيها النص كاملاً، فإن سطحه قد نالت منه عوامل الحت بتقادم الزمن، وتركت النص المنقوش عليه في حالة لا تساعدنا كثيراً على قراءته (انظر الشكل رقم 14).

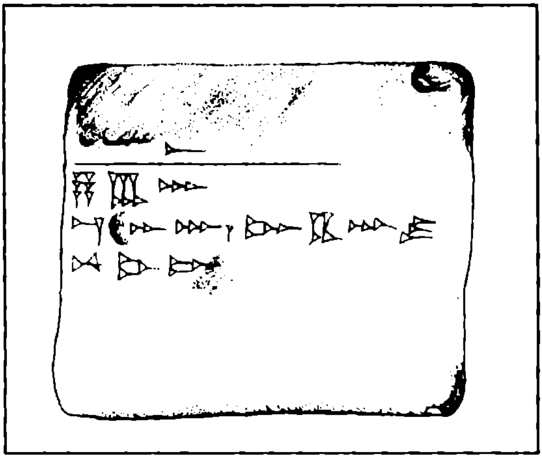

الشكل رقم (14): رقيم من رأس شمرا (1929) يُظهر لنا صعوبات القراءة بسبب الحت

هذا النوع من الصعوبات يعرقل جهود الباحثين في تقديم ترجمة واضحة ومتماسكة للنصوص. من هنا، فإن المترجم عن الأوغاريتية اليوم، في التزامه الأمانة التامة، لا يجد مناصاً من أن يملأ نصه المترجَم بالفراغات

مكتبة الفكر الجديد

بين الكلمات، وبإشارات الاستفمهم، وما إليها. وتكون الترجمة محبطة للقارئ رغم دقتها. ولهذا فقد عملنا، في تقديمنا لمقتبسات من النصوص الأوغاريتية في آخر هذا الفصل، على تحسين صورة النص، من خلال تقديمنا لروحه ومعانيه، والقفز فوق فراغاته.

يلف الغموض مسألة ابتكار الأبجدية المسمارية. فهي ليست الشكل الأبكر للكتابة الأبجدية، رغم اقترابها كثيراً من استحقاق هذا الشرف. لا شك في أن أقدم أبجدية هي الأبجدية الكنعانية التخطيطية[1] التي نعرفها من عدد محدود من الوثائق، وذلك مثل نقش جبيل، وما يُعرف بالنقوش السينائية المبكرة التي عُثر عليها في مناجم النحاس بشبه جزيرة سيناء. وهذه الأبجدية التخطيطية ربما تعود بتاريخها إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد، بينما لم تصبح الأبجدية المسمارية الأوغاريتية مستخدمة إلا في أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبعض النصوص المكتوبة بها يمكن تأريخها بشكل دقيق وإعادتها إلى فترة حكم نقمادو الثالث نحو عام 1360 ق.م. ومن المحتمل أن استخدام هذه الأبجدية المسمارية قد ابتدأ في عهد هذا الملك، وأنه هو الذي حض على استعمالها في كتابة الوثائق المدنية والدينية.

وإذا كنا لا نعرف التاريخ الدقيق لأصول الأبجدية المسمارية، فإننا لا نعرف أيضاً ظروف وملابسات اختراعها. فلربما يُعزى هذا الاختراع إلى كَتَبَةٍ أوغاريتيين كانوا قد تمرسوا بكتابة الخط المسماري المقطعي القديم، ثم تعرفوا على الأبجدية الكنعانية التخطيطية التي استعملت مجموعة من الإشارات الكتابية التي تمثل الحروف الساكنة وتجاهلت الحروف الصوتية لأسباب عملية، فقام هؤلاء الأوغاريتيون بتبني هذه المبادئ في

---

(1) الأبجدية التخطيطية (Linear) هي التي ترسم بشكل حر لا بالإشارات المسمارية.

مكتبة الفكر الجديد

صياغتهم للأبجدية المسمارية، وابتكروا سبعاً وعشرين إشارة، أو رمزاً مسمارياً، تقابل الحروف الساكنة الرئيسية. وهذه الرموز المسمارية لا تحمل في حد ذاتها أي دلالة، وإنما جرى استنباطها لتكون بسيطة وسهلة النقش، وفي الوقت نفسه مختلفة عن الرموز المستخدمة في المسمارية الأكادية. هذه الرموز السبعة والعشرون الأصلية جرى توسيعها فيما بعد لتغدو ثلاثين حرفاً أبجدياً، وذلك من خلال إدخال ثلاثة أشكال للحرف «ألف» تمثل الأصوات الثلاثة المرافقة له، كما بيّنا سابقاً.

بهذه الأبجدية الأوغاريتية النظامية ذات الثلاثين حرفاً، كُتبت النصوص التي عُثر عليها في رأس شمرا، ومينة البيضا، ورأس ابن هاني (بخصوص رأس ابن هاني راجع الفصل السادس لاحقاً)، وأخرى عثرت عليها البعثة الدنماركية التي نقبت في تل سوكاس على مسافة عشرين ميلاً إلى الجنوب من منطقة أوغاريت. ولكن شكلاً مختصراً من هذه الأبجدية الطويلة قد اشتُق منها، وعُثر عليه في تنقيبات عديدة مختلفة. فقد عُثر على نصوص قليلة وقصيرة في رأس شمرا مكتوبة بها. كما عُثر على بعضها في مواقع أبعد إلى الجنوب، في سورية الوسطى وفي فلسطين، مثل تل النبي مند (قادش القديمة)، وكامد اللوز، وساريبتا، وبيت شميش، وتعنك، وفي منطقة جبل طابور. هذا التوزع الواسع للأبجدية المختصرة، من أوغاريت في الشمال إلى فلسطين في الجنوب، هو مؤشر على انتشار الأبجدية المسمارية واستخدامها على نطاق واسع نسبياً.

إن عبقرية هذا الاختراع، ترجع إلى الكتبة في أوغاريت القديمة. فنحن نعرف عنهم الآن امتلاكهم دِربةً فائقة ومعرفة بعدد متنوع من الخطوط واللغات. يشهد على ذلك تلك النصوص التي عُثر عليها في أوغاريت مكتوبة بأربع لغات، والتي تدل على خبرة أولئك الكتبة واطلاعهم

مكتبة الفكر الجديد

الواسع. ومن المحتمل جداً أن يكونوا قد توصلوا إلى هذا الابتكار قبل عام 1400 ق.م، على الرغم من أن النصوص التي وصلتنا ترجع إلى ما بعد هذا التاريخ.

من الواضح أن الكتبة قد تمتعوا بمركز اجتماعي راقٍ في مملكة أوغاريت القديمة. فقد تلقوا تعليماً عالياً وواسعاً في اللغات والنظم الكتابية المتنوعة السائدة في أيامهم. وإذا أردنا أن نُقَّرب مدى اطلاعهم وعلمهم في ذلك الوقت إلى الذهن الحديث، علينا أن نتخيل باحثاً اليوم يمتلك معرفة بلغات وخطوط كل من العربية والروسية والصينية، إضافةً إلى لغته الإنكليزية. أي إن الكتبة لم يكونوا المعادل القديم لخبراء الكتابة الاختزالية اليوم. ومن جهة أخرى، لم يكن على الكاتب في ذلك الوقت أن يكون فناناً أو مؤلفاً بالمعنى المتعارف عليه اليوم. فعلى سبيل المثال، نحن نعرف الآن أن عدداً من النصوص الميثولوجية الرئيسية ذات القيمة الأدبية العالية، قد نُسخت بيد كاتب يدعى إيل ميلكو، ولكن هذا لا يعني أنه كان في الوقت نفسه مؤلفها، فهو إما أن يكون قد نقلها كتابة على الألواح عن قصص متداولة شفاهةً منذ زمن، أو أنه قد نسخها، وربما حررها، عن ألواح أكثر قدماً، ربما كانت مكتوبة بخط آخر، وكان عليه تحويلها إلى الخط الجديد.

لا نعرف إلا القليل عن آلية تعليم الكتابة من النصوص المدرسية التي عُثر عليها في رأس شمرا، فالكثير من هذه النصوص لا يحتوي إلا على الحروف الهجائية منقوشة واحداً بعد آخر بيد غير مدربة. وفي بعض الأحيان نجد مجموعة من الحروف تُكتب مراراً وتكراراً، بهدف تجاوز الأخطاء المرتكبة في المحاولات الأولى مع التقدم في التمرين. وفي نوع آخر نجد أن الكلمة الواحدة تكتب مراراً وتكراراً حتى الحصول على النتيجة الممتازة. وفي تمارين متقدمة نجد أن التلميذ قد وصل إلى مرحلة

مكتبة الفكر الجديد

إعداد نسخة كاملة عن إحدى الرسائل، لكي يتعلم الوسائل المتطورة في فن الكتابة.

تتصل اللغة الأوغاريتية، التي حفظتها لنا النصوص الأبجدية، بصلة القربى بكل من اللغات الفينيقية والآرامية والعربية والعبرية التوراتية، وكلها تنتمي إلى عائلة اللغات السامية. تنقسم هذه العائلة إلى عدد من المجموعات هي:

1. السامية الشمالية الشرقية، وقد استُخدمت في وادي الرافدين، وتضم الأكادية بلهجتيها البابلية والآشورية.

2. السامية الشمالية الغربية، وتحتوي على الأوغاريتية والفينيقية والمؤابية والعبرية، وعدد آخر من اللهجات الكنعانية.

3. السامية الجنوبية، وتحتوي على العربية الكلاسيكية، والعربية الجنوبية القديمة، والأثيوبية.

ولقد بقيت العلاقة بين الأوغاريتية والعبرية موضع جدل بين الباحثين فبعضهم يرى أن هاتين اللغتين وثيقتا الصلة ببعضهما، وأنهما لهجتان إقليميتان في لغة كنعانية واحدة ضمن المجموعة السامية الشمالية الغربية، بينما يرى آخرون أنهما أقل صلة مما يرى الفريق الأول، وهؤلاء يركزون على الفوارق بينهما أكثر من تركيزهم على التشابهات. وفي الواقع، فإن طبيعة الشواهد التي وصلتنا من أوغاريت لا تسمح بالتوصل إلى نتيجة حاسمة لهذا الجدل بين الفريقين.

على أي حال، هنالك الكثير مما يجمع اللغتين لا يمكن تجاهله. فهما تتشاركان في كثير من الكلمات التي تحمل المعنى نفسه على اختلافها في اللفظ (انظر الشكل رقم 15). كما تحمل بناهما النحوية الخصائص نفسها. وفي مجال التقاليد الأدبية تُظهر اللغتان تداخلاً بيِّناً. وهكذا فعلى

مكتبة الفكر الجديد

الرغم من أن العلاقة الألسنية الوثيقة بين الأوغاريتية والعبرية لا يمكن إقرارها دون ريب، فإن درجة القرابة بينهما شديدة بما يكفي لتشكيل قاعدة للدراسات المقارنة الجدية بين اللغتين والأدبين، مما كان يجري خلال نصف قرن مضى.

أوغاريتي	عبري	المعنى
م ل ك	م ل ك	ملك
ب ت	ب ي ت	بيت
ك س	ك و س	قوس
ل ش ن	ل ش و ن	لسان
ص د ق	ص د ق	صدق
ج د ل	ج د و ل	واسع
ي د	ي د	يد
هـ ك ل	هـ ي ك ل	هيكل
ح ل ب	ح ل ب	حليب
ي م ن	ي م ي ن	يمين
ع ب ر	ع ب ر	غبار- عفْر
ل ب	ل ب	قلب- لب

الشكل رقم (15): نماذج من الكلمات المتشابهة في الأوغاريتية والعبرية قبل تحريكها

وُجدت الرُّقُم الفخارية الأوغاريتية موزعة على عدد من الأرشيفات والمكتبات في أماكن مختلفة من خرائب المدينة القديمة. وعلى الرغم من أن موقع كل أرشيف مهم لتفسير أي نص من النصوص، فإن كل أرشيف قد احتوى على تشكيلة متنوعة من النصوص. ففي القصر الملكي الكبير، تم

مكتبة الفكر الجديد

العثور على خمسة أرشيفات في أماكن مختلفة ضمن هذه البنية الضخمة. ويمكن وصف هذه المجموعات بأنها أرشيفات بالمعنى الحقيقي للكلمة، أو محفوظات؛ فهي تحتوي بشكل عام على نصوص ذات طبيعة اقتصادية أو إدارية، وبلغات وخطوط مختلفة، تم تخزينها كسجلات لدواعي الاستعمال الإداري العادي. في أحد أجنحة هذا القصر، عُثر على فرن كان يستخدم لشي الرقم الطينية الطرية بعد نقشها، لتقسيتها بشكل يسمح بالاستعمال والتخزين. ويبدو أن القصر قد أخذ يتهاوى عندما كان بعض الرقم في الفرن، وبينها رقم تحتوي على نصوص ميثولوجية وإدارية، وعلى رسائل تلقي الضوء على الأحوال السائدة في مملكة أوغاريت خلال الأيام والساعات الأخيرة من حياتها. كما احتوى القصر الملكي الصغير الملاصق للكبير على أرشيف يحتوي بشكل رئيسي على نصوص إدارية مكتوبة بالمسمارية البابلية.

لقد جاءتنا النصوص الميثولوجية الرئيسية من مكتبتين كهنوتيتين، ولكن نصوصاً وأجزاءَ نصوصٍ ميثولوجية وُجدت في أرشيفات أخرى يغلب عليها الطابع الدنيوي. فلقد احتوت مكتبة الكاهن الأعلى في منزله الخاص على النصوص الميثولوجية والملحمية الكبرى، مثل سلسلة بعل وعناة، وملحمة أقهات. ويبدو أن مكان الأرشيف هذا قد استُخدم أيضاً كمدرسة لتعليم وتدريب الكتبة الجُدُد. إلى الجنوب قليلاً من بيت الكاهن الأعلى، يقوم البيت الذي دعاه الآثاريون ببيت الكاهن الساحر. وفي مكتبة هذا البيت عُثر على أجزاء من نصوص ميثولوجية، وعلى نماذج فخارية لرئات وأكباد حيوانات كانت تستخدم، كما هي العادة في أنحاء مختلفة من الشرق القديم، في تقنيات العرافة، وعلى هذه النماذج كتابات محفورة.

كما تم العثور على مكتبتين خاصتين أيضاً؛ اكتشفت الأولى في بيت

مكتبة الفكر الجديد

واحد من علية القوم يدعى رابانو (راجع الفصل الثالث) احتوت على تشكيلة من النصوص، بينها نصوص ذات طبيعة علمية مكتوبة بالأكادية، ونص معجمي رباعي اللغة يحتوي كلمات بالأوغاريتية والبابلية والسومرية والحورية؛ ونصوص ذات طبيعة طقسية سحرية، ورسائل ديبلوماسية. أما المكتبة الخاصة الثانية فقد اكتشفت في منزل يقع إلى الجنوب من أكروبوليس المدينة، احتوت على تشكيلة من النصوص بينها كسرة رقيم عليها جزء من أسطورة الطوفان البابلية المعروفة لنا بشكل تفصيلي من نصوص اكتشفت في وادي الرافدين.

هذه المصادر مجتمعة من مكتبات وأرشيفات هي التي زودتنا بالتركة النصية الأوغاريتية. وكما صار واضحاً الآن، فإن قلة من هذه التركة النصية تستحق وصف «الأدب» بالمعنى الدقيق للكلمة؛ فالجزء الأكبر منها قصير نسبياً أو ذو طبيعة إدارية واقتصادية، وهو مفيد في تقديم المعلومات عن حضارة أوغاريت وتاريخها، ولكنه أقل فائدة في تقديم معلومات عن الأدب والدين فيها. ولأجل هذا النوع الأخير من المعلومات يجب أن نلتفت إلى تلك الرقم التي تحتوي على الملاحم والأساطير، والتي هي أدبية في شكلها، ودينية في مضمونها على ما نستدل من مكان العثور عليها.

كتبت هذه النصوص الأدبية الأوغاريتية، كلها، شعراً (هذا إذا استثنينا لأسباب عملية جنس الرسائل من زمرة الأدب). إن التقاليد الأدبية المتبعة في كتابة هذا الشعر، تقدم لنا أحد المجالات الرئيسية للتشابه مع الأدب الكتابي (نسبة إلى الكتاب المقدس). وبشكل عام يمكننا القول بأن الشعر الأوغاريتي والشعر الكتابي يشتركان في التقاليد وفي البنى الشعرية نفسها.

إن أبرز أشكال الشعر الأوغاريتي ما اعتمد أسلوب التوازي، وهو أسلوب كثير الاستخدام في الشعر الكتابي أيضاً. تتألف وحدة الشعر

مكتبة الفكر الجديد

المتوازي عادة من سطرين أو ثلاثة، يعبر السطر الأول فيها عن فكرة رئيسية يجري تطويرها في السطر أو السطرين اللاحقين. وفي التوازي الترادفي وهو أحد الأشكال الرئيسية لهذا الأسلوب نجد أن الفكرة المبسوطة في السطر الأول يجري تكرارها في السطر الثاني أو الثالث أيضاً، وذلك باستخدام المترادفات أو شبه المترادفات، وأحياناً باللجوء إلى التكرار المباشر. ولعل السطرين التاليين من أسطورة بعل يوضحان الأسلوب النمطي للتوازي، حيث نجد أن السطر الثاني يعيد صياغة جوهر السطر الأول.

وجلس الآلهة أيضاً للطعام
جلس أبناء القدوس للغذاء

إن «الآلهة» في السطر الأول هم أنفسهم «أبناء القدوس» في السطر الثاني، وجلوسهم للغذاء في السطر الثاني هو تكرار بصيغة أخرى لجلوسهم للطعام في السطر الأول. ولدينا مثال آخر من النص نفسه يشرح بشكل أوضح هذا المبدأ، وهو من ثلاثة أبيات هذه المرة.

هوذا أعداؤك يا بعل
هوذا أعداؤك سوف تذبحهم
هوذا مبغضيك سوف تفنيهم

يوضح لنا هذا المثال الثاني أن أسلوب التوازي ليس مجرد وسيلة آلية، فضمن القيود التي تتحكم به هنالك إمكانيات واسعة لتنويعات عديدة، وعلى الرغم من أنه يبدو مضجراً للوهلة الأولى، إلا أنه يحمل لنا كلما ألفناه المفاجأة والإثارة عن طريق قلبه للعبارات وتطويره للأفكار.

إن معظم الشعر الأوغاريتي مثير للإعجاب بداعي ملحميته وقوة سرده، لا لجمال سطوره وكلماته. ولكن الشاعر الأوغاريتي ينجز أحياناً

مكتبة الفكر الجديد

شعراً متميزاً في حد ذاته بصرف النظر عن سياقه الملحمي. ولعل السطور التالية من أسطورة بعل تعطينا فكرة عن القدرات الكامنة لدى الشاعر الأوغاريتي:

لديّ كلمة أُسرّها لكِ
لدي قصة أسر دها عليكِ
كلمة الشجر وهمس الحجر
تنهُّدُ السماء إلى الأرض
ونجوى البحار إلى النجوم
فأنا أصنع البرق الذي لا تفهمه السماء
والكلام الذي لا يعيه البشر
ولا تفهمه كائنات الأرض طراً(١)

يصف هذا النص بلغة قوية ساحرة القوة الرئيسية لإله العاصفة بعل، وهي القوة الكامنة في الطاقة الغامضة للبرق، والتي تصل السماء بالأرض.

ننتقل الآن إلى عرض لمحة موجزة عن أهم النصوص الأدبية الأوغاريتية، فنقدم وصفاً مختصراً لها، ونماذج تعبّر عن شكلها وأسلوبها الأدبي. سنبدأ أولاً بملحمة الملك كِرْتْ، فنعرض موجزاً لأحداثها وبعضاً من مقاطعها الشعرية، لنساعد القارئ على تذوق نكهة الأدب الأوغاريتي. ثم ننتقل إلى نصوص أدبية أخرى لنعرضها بالطريقة نفسها.

1. ملحمة الملك كِرْتْ:

نقشت ملحمة الملك كِرْتْ على الوجهين من ثلاثة رُقم فخارية من

---

(1) اعتمدت في ترجمة هذا المقتبس على ترجمات إنكليزية أخرى له، إضافة إلى ترجمة د. أنيس فريحة إلى العربية. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

الحجم الكبير نسبياً، في كل رقيم ثلاثة أعمدة شاقولية. وقد وُجدت هذه الرقم في سياق الحملتين التنقيبيتين في رأس شمرا لعامي 1930 و1931؛ وكانت ضمن مجموعة مكتبة الكاهن الأعلى التي اكتشفت قرب المعبدين القائمين في القسم الشمالي من المدينة. والرقم الآن محفوظة في المتحف الوطني لمدينة حلب السورية. وقد ورد فيها أن ناسخها هو الكاتب المعروف إيل ميلكو.

إن الحالة السيئة التي وصلتنا بها ألواح هذه الملحمة تطرح أمامنا نموذجاً عن الصعوبات التي تواجه أي مترجم ومفسر لنصوص أوغاريت. فالرقيم الأول عُثر عليه مكسوراً وبعد جمع أجزائه إلى بعضها صار في حالة حسنة نسبياً، بحيث أن ٪75 من محتوياته غدت واضحة للقراءة. أما الرقيم الثاني في السلسلة فحالته أسوأ، فقد عُثر عليه مكسوراً إلى ثلاثة أقسام، أحدها مفقود والاثنان الآخران غير واضحين تماماً للقراءة. وكذلك الأمر في الرقيم الثالث الذي جُمعت أجزاؤه إلى بعضها بصورة غير كاملة، الأمر الذي لم يترك سوى نصف محتوياته واضحاً للقراءة، يضاف إلى ذلك أن نهايته بقيت مفقودة، وهذا ما يجعل قصة كِرْتْ غير معروفة لنا بشكلها الأصلي الكامل، على الرغم من أنها كُتبت في الماضي على هذه الألواح الثلاثة، ولا دليل على وجود لوح رابع مفقود. ومع ذلك فإن ما تبقى منها كافٍ لإعطاء فكرة عن الخطوط العامة للملحمة ككل.

تدور الأحداث حول ملك كان في زمن تدوين هذه الملحمة، أي إبان العصر الذهبي لأوغاريت، مُعتَبراً بين الشخصيات التي عاشت في سالف الأزمان. كان اسم هذا الملك ك ر ت، الذي يلفظ عادة كِرْتْ، بالرغم من أن بعض الترجمات تلفظه كيرتا[1].

---

(1) أو كارِت على ما يذهب إليه أنيس فريحة. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

تبدأ القصة بوصف الوضع المأساوي الذي وجد كِرْتْ نفسه فيه. فقد عصفت كوارث مختلفة بجميع أفراد أسرته. والأسوأ من ذلك كله أن زوجاته السبع قد فُقدن تباعاً ولم يرزق منهن بولد يرثه على العرش، فبقي وحيداً مقهوراً يسأل الآلهة أن ترزقه ابناً. وفي إحدى الليالي وبينما هو يبكي في مخدعه، غلبه النوم، وعرضت له رؤيا في المنام:

وبينما هو يبكي غلبه النوم،
بينما دموعه تسيل أخذه السبات.
غلب عليه النوم بينما كان مضطجعاً،
أخذه السبات بينما كانَ مستلقياً.
عندها، في حلمه رأى إيل ينزل،
في رؤياه، رأى أبا البشر يقترب.
وفيما هو يقترب، سأل كِرْتْ:
لماذا يبكي كِرْتْ؟
ولماذا تدمع عينا ابن إيل المفضل؟

عندها عبّر كِرْتْ لكبير الآلهة إيل عن رغبته في ولادة ابن له يرثه. فأمره إيل أن يقدم أضحية له وللإله بعل، وأن يجهز بعد ذلك جيشاً عرمرماً ويشرع في حملة حربية تأخذه إلى مملكة «أُدم»[1] التي يحكمها الملك بابيل، لا لتحقيق النصر وكسب الجزية، وإنما لطلب يد حورية ابنة الملك لتكون له زوجة.

استفاق كِرْتْ من نومه وشرع لتوه بتنفيذ تعليمات إيل، وعندما أتم تجهيز جيش ضخم شد الرحال باتجاه أُدم. في اليوم الثالث من مغادرته الوطن وصل كِرْتْ إلى مقام مقدس للإلهة أثيرة (أو عشيرة وفق اللفظ

---

(1) ربما هي مملكة آدوم على ما يرجّح البعض. (المترجم).

التوراتي)، ونذر لها نذراً قوامه كمية كبيرة من الذهب والفضة، إن هو أفلح في مسعاه وحصل على حورية زوجة له، ثم تابع السير. وبعد أربعة أيام أخرى وصل أُدم وضرب حصاراً حول بابيل، فأرسل إليه هذا رسلاً يعرضون عليه هدايا قيمة من كل معدن ثمين، وعبيداً، وخيولاً، ومركبات، لقاء عودته إلى دياره، ولكن كِرْتْ رفض ذلك كله، وأكد على أنه ما جاء إلا ليحصل على حورية الجميلة زوجة له:

أعطني الأميرة حورية،
بكرك، وأجمل من في عائلتك.
التي حسنها مثل حسن الإلهة عناة،
وجمالها مثل جمال الإلهة أثيرة[1]،
التي عيناها من حجر كريم،
وجفناها طاسان من عقيق.

بعد ممانعة وأخذ ورد بين الطرفين، أُعطيت الأميرة حورية زوجة للملك كِرْتْ الذي قفل عائداً إلى بلاده. وبعد مضي سنوات على ذلك رُزق كِرْتْ من حورية بعدد من البنين والبنات.

ولكن الحظ العاثر أصاب الملك من جديد على شكل مرض عضال أقعده عن ممهمه. والقصة عند هذا الموضع تبدو أقل وضوحاً بسبب النقص والكسور في الرقيم وعلى ما يبدو فإن مرضه قد طال، وانعكس ذلك على أحوال البلاد، فجفت المزروعات وساد الجفاف وعزَّ المطر، وعدا القوي على الضعيف. وهنا تدخل كبير الآلهة إيل وطلب من مجمع الآلهة أن يختاروا من بينهم من يشفي كِرْتْ، ولكن أحداً لم يتطوع لهذه

(1) في ترجمات أخرى ورد الاسم بصيغة استارت، وهي إلهة مختلفة عن أثيرة وغالباً ما يرد اسمها في النصوص الأدبية بالترافق مع اسم الإلهة عناة. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

المهمة. فعمد إيل إلى خلق روح أنثوية اسمها شعتقة وبعث بها إلى كِرْتْ مزودة بتعليمات عن كيفية شفائه، فنجحت في مهمتها بعد جهد، وزاول المرض كِرْتْ وعاد إليه النشاط والعافية، وانفتحت شهيته للطعام:

فُتحت شهيته للطعام،
وفُتح بلعومه للأكل.
آل الموت إلى غَلَية،
وحققت شعتقة انتصاراً.
عندها أصدر الملك كِرْتْ أوامره،
رفع صوته وصاح:
أنصتي إلى ما أقول أيتها الأميرة حورية:
اذبحي خروفاً فآكله،
وعجلاً أيضاً فألتهمه.

وبعد الطعام يتقوى كِرْتْ ويعود ثانيةً للجلوس على عرشه مستعيداً زمام سلطته الملكية. ولكن ابنه المدعو يَصبْ، الذي بقي على اعتقاده بأن مرض أبيه قد أفقده القدرة على الحكم، خرج عن طاعته متهماً إياه بالعجز عن إدارة شؤون المملكة، والتغاضي عن ممهمه الملكية في إنصاف الأرملة واليتيم والوقوف إلى جانب الضعفاء، ودعاه إلى التنازل عن العرش بسبب مرضه المتطاول، ليحكم بدلاً عنه. وهكذا فإن القصة التي ابتدأت بالدعاء الحار للحصول على وريث، تنتهي بالملك نفسه وهو يستجلب اللعنات على ابنه:

ليحطمن الإله حورن يا بني رأسك،
ولتكسرن إستارت، سمية البعل، جبهتك،
فتسقطن قبل حلول يومك،
بيد فارغة ومجللاً بالعار.

وهنا، ينكسر اللوح الثالث، ولا ندري ما آلت إليه الأمور.

إن مغزى هذه الملحمة ما زال موضع جدل بين الباحثين، على الرغم من كونها ذات طابع أدبي بالدرجة الأولى؛ ولكن أفكارها كانت ذات مغزى، على ما يبدو، في العالم القديم، وذلك من خلال تركيزها على أبعاد الإيديولوجيا الملوكية؛ فالملك يدعى ابن الإله إيل، وكان مسؤولاً أمام إلهه عن حكم المجتمع الإنساني، وعن حماية اليتامى والمستضعفين. كما أن الملك الذي لا ولد له يرثه، لن يتمتع بحكم مديد مستقر وآمن، ويكون في وضع يشجع جهات عدة على التنازع على العرش. والملك المريض ليس مؤهلاً للقيام بواجباته على أحسن وجه في إدارة مملكته؛ وهو إذا لم يمارس نفوذه بحزم على الطموحين من أولاده، سوف يخسر نفوذه على المملكة بأكملها. وهكذا فإن القصة تَعرِض بأساليب متنوعة المُثل العليا للملوكية في العالم القديم، وتلفت النظر إلى العوامل التي تهدد استقرار حكم الملك.

2. ملحمة أقهات:

كما هو الحال في ملحمة كِرْتْ، فإن ملحمة أقهات قد حُفظت لنا على ثلاثة ألواح، وصلنا اثنان منها في حالة سليمة نسبياً، والثالث (الذي يحتوي على المرحلة الثانية من القصة) وصلنا في حالة سيئة جداً، والقسم الأسفل منه مفقود في نقطة حرجة من القصة التي لم تصل ذروتها بعد، وذلك على عكس ملحمة كِرْتْ التي أوصلنا اللوح الأخير فيها إلى ما قبل النهاية بقليل. وهذا ما يترك قارئ ملحمة أقهات في تشوق لمعرفة ما ستؤول إليه الأحداث، ونهايتها التي ستبقى مجهولة حتى يتم اكتشاف القسم المفقود من اللوح الأخير. اكتُشفت الألواح الثلاثة خلال الحملة التنقيبية الثانية

مكتبة الفكر الجديد

في رأس شمرا عام 1930، وجميعها من نَسخ الكاتب إيل ملكو، وكانت مودعة في مكتبة الكاهن الأعلى.

تبتدئ القصة بالحديث عن دانئيل (أو دانيال في مصادر أخرى)، الذي ربما كان ملكاً، ولكن الأرجح أنه كان زعيماً قبلياً مثل إبراهيم في العهد القديم. وكما كان الحال مع كل من كِرْتْ وإبراهيم، نجد في بداية القصة دانئيل العقيم وهو يصلي للآلهة علها ترزقه بولد يعتني به في شيخوخته ويحفظ سلسلة نسبه من الانقطاع. يستجيب الإله إيل لصلوات دانئيل ويقضي بأن يكون له ولد. يُسرُّ دانئيل لسماع الوعد الإلهي، ويأخذ بِعدّ الشهور والأيام المتبقية لولادة الابن المنتظر.

يولد أقهات بشكل طبيعي ويكبر ليصبح ولداً باراً بأبويه. وفي أحد الأيام يأتي إله الحِرَف والصناعة المدعو كوثر-حاسيس لزيارة دانئيل، ومعه قوس خاص صنعه بيديه الماهرتين، وجعبة ونبالاً، فيعطي القوس لدانئيل ليقدمه بدوره هدية لابنه أقهات. ولكن هذا القوس كان بداية للمشاكل. فقد رأت عناة إلهة الحب والحرب القوس العجيب الصنعة، فأرادته لنفسها وعرضت على أقهات شراءه منه:

اسمع أيها الفتى أقهات،
اطلب فضة مني أعطيك،
اطلب ذهباً أهبه لك،
ولكن أعطِ قوسك لعناة.

وعندما يرفض أقهات الفضة والذهب، تؤمّله عناة بأعطيات أكثر قيمة:

اطلب الحياة أيها البطل أقهات،
اطلب الحياة أعطيها لك،
اطلب الحياة الخالدة أهبها لك.

مكتبة الفكر الجديد

ولكن الشاب يعرف أن الإلهة الجميلة تَعِدُ بما لا تستطيع الوفاء به فيرفض عرضها بفظاظة:

لا تكذبي عليّ يا سيدتي،
لأن كذبك على البطل لا يليق.
ما الذي يجنيه الإنسان في النهاية؟
ما هو القدر المحتوم على البشر ؟
سوف يُصَب الجص على رأسه،
والكلس على جبهته.
نعم، سأموت مثل كل الفانين،
نعم، بالتأكيد سوف أموت.

ولكن أقهات في رفضه عرض الإلهة العنيفة كسب عدواً خطراً، فها هي عناة تطلب عون خادمها الأمين يطبان على قتل أقهات. يتخفى يطبان في هيئة طير ويهاجم أقهات وهو جالس إلى المائدة فيقتله. ولكن مقتل أقهات يتكشف عن نتائج كارثية، فينقطع المطر وتذوي المزروعات. تلاحظ بوغة أخت أقهات، التي لم تعرف بعد بالحادث، هذا التغير في مظاهر الطبيعة وتشاهد العقبان وهي تحوم في السماء، فتستنتج وقوع حادثة قتل وتنقل مخاوفها لأبيها الذي يقوم بجولة في أراضيه ليستقصي مصدر المشاكل. ثم يأتي من يخبره بموت ابنه، فيصب لعناته على القاتل المجهول ويعد بالانتقام؛ ثم يذهب للبحث عن جثة ابنه حتى يجد بقاياه في بطن أحد العقبان، فيأخذها ويدفنها في مقبرة العائلة.

تستقصي بوغة كل ملابسات مقتل أخيها، وتكتشف أن يطبان كان الأداة التي نفَّذت القتل، فتعقد العزم على الانتقام لأخيها. وهكذا، وبقلب يملؤه الحقد والثأر، تتقلد بوغة سيفاً وتلبس فوقه ثوباً فضفاضاً، وتتنكر

مكتبة الفكر الجديد

في هيئة الإلهة عناة وتذهب لزيارة يطبان الذي يستقبلها وقد ضلله تنكرها وحسبها سيدته، ويدعوها لدخول بيته ويسكب لها خمراً ويجلس للشراب معها. وعندما يُكثر من الشراب ينطلق لسانه ويأخذ بالتباهي بما قام به لصالح عناة:

إن اليد التي قتلت البطل أقهات،
قادرة على ذبح الآلاف من خصوم سيدتي.

بعد صدور هذا الاعتراف من فم يطبان، يغلي الدم في عروق بوغة وتتحضر للانتقام، ولكن الرقيم ينكسر عند هذه النقطة وتضيع بقية القصة.

لقد ساهم عدم اكتمال القصة في صعوبة تفسيرها وغموض دلالاتها. ويبدو أن أحداثها تدور في زمن أبعد من زمن ملحمة كِرْتْ، وفي عالم الأسلاف المؤسسين قبل حلول عصر الملوكية في أوغاريت، حيث يتداخل عالم الآلهة بحرية في عالم الحياة اليومية للناس. ومع ذلك، فإن عدداً من أفكارها مألوف لنا من آداب الشرق القديم الأخرى. وذلك مثل هاجس الحصول على وريث، وخصب الأرض، وثأر الدم، والنزاع مع إلهة الحب والحرب. ومع الأخذ بعين الاعتبار عدم اكتمال القصة، فإن تفسيرها يبقى عصياً، ولكن ما بقي منها كافٍ ليدلنا على السبب في الاحتفاظ بها قديماً: إن قصة جيدة تتلى بشكل جيد، سوف تحتفظ بجاذبيتها من جيل إلى آخر.

3. ميثولوجيا الإله بعل:

في النصين الأدبيين الذين أوردناهما سابقاً، يتخذ إيل دور الإله الأعلى؛ إلا أن محتواهما، على ما يفيد النقد النصي، يدل على زمن أبعد بكثير من العصر الذهبي لأوغاريت. وعلى الرغم من أن بقاء الإله إيل إلهاً مهماً في البانثيون الأوغاريتي إبان العصر الذهبي، إلا أن بعل (وربما داجان أيضاً)

مكتبة الفكر الجديد

كان بمثابة الإله الرئيسي. إن معبدي أوغاريت المتقاربين والواقعين في القطاع الشمالي من المدينة قد تم التعرف عليهما باعتبارهما معبدين للإله بعل والإله داجان (ولكن الشواهد القاطعة على ذلك غير كافية حتى الآن). وبذلك يكون لدينا معبد للإله داجان من غير أن يكون هذا الإله ممثَلاً في النصوص الأدبية؛ على عكس الإله بعل الذي تمتع بمعبد وبمكانة متميزة في النصوص الأدبية والدينية التي وجدت في مكتبة الكاهن الأعلى. ولا شك في أن مركزية الإله بعل في ذلك الوقت يمكن توقُعها في أوغاريت، بسبب سيادة أشكالٍ من الديانة البعلية في العالم الكنعاني كله. يُضاف إلى ذلك أن بعل باعتباره متحكماً بالعاصفة والبرق والمطر، قد تمتع بمكانة أعلى من بقية الآلهة. إن خصب الأرض ومقدرتها على إنتاج المحاصيل، وتقديم علف للماشية، أمور تعتمد بالدرجة الأولى على بعل وزوجته عناة، التي توصف في بعض الأحيان على أنها زوجته وفي أحيان أخرى على أنها أخته. وعلى هذا، وبمقدار ما نستطيع الاستنتاج من الشواهد المتاحة، فإن الإله بعل كان، من بين جمهرة آلهة أوغاريت، بؤرة النشاط الديني والعبادة الإنسانية.

من مكتبة الكاهن الأعلى جاءنا عدد من النصوص التي تحتوي على العناصر الرئيسية لميثولوجيا بعل، ولكن أهم المعلومات حصلنا عليها من ستة رُقم اكتشفت خلال الحملة التنقيبية الثانية والثالثة في عامي 1930 و1931. من الممكن أن الرُّقُم تشكل فيما بينها ستة أجزاء لعمل أدبي واحد، أنتجها الكاتب الشهير إيل ملكو. معظم الرقم يحتوي على ستة أعمدة، ثلاثة على كل وجه من الرقيم، ولكنها وصلتنا في حالة غير سليمة، وتتراوح درجة اكتمالها من 75% في أحد الرقم، إلى 50% في رقيمين، وأقل من 50% من المحتوى الأصلي في الثلاثة الباقية. وهذا ما يجعل نصف محتوى الرقم الستة التي تحتوي على سلسلة بعل، معروفاً

مكتبة الفكر الجديد

لنا فقط. ولسوء الحظ فإن الأجزاء غير المقروءة أو الناقصة من الألواح، هي التي تحتوي على الأجزاء الحاسمة والمهمة لتفسير وفهم النص بأكمله.

فعلى سبيل المثال، فإن ألواح بعل تحتوي على نصوص تقص علينا ثلاثة أحداث رئيسية في هذه الأسطورة، ولكن الحالة المتشظية التي وصلتنا بها تجعلنا نفتقد إلى المفاتيح الرئيسية للتفسير. فنحن لسنا متأكدين من أن القصص الثلاثة حول بعل، والتي سنسردها بعد قليل، تشكل قصة مطردة واحدة، أم أنها ثلاث قصص منفصلة، أو عبارة عن تجميع في حيز واحد لقصص عن بعل جاءت من أمكنة وفترات مختلفة. وحتى إذا اعتبرنا أن الألواح الستة تشكل فيما بينها قصة واحدة عن بعل، فإننا لسنا في وضع يؤهلنا لتقرير تتابع الأحداث الثلاثة الرئيسية فيها، والتسلسل الذي ينبغي أن تُقرأ فيه، في الوقت الذي يتخذ فيه تسلسل الأحداث في النص الميثولوجي أهمية بالغة بالنسبة إلى فهمه وتفسيره. من هنا، فإن الملخص الذي سنورده فيما يلي عن الأحداث الرئيسية في قصة بعل، يعتمد تسلسلاً افتراضياً محتملاً، وذلك في حال موافقتنا على أن هذه الأحداث تنتمي إلى نص واحد مُطَّرد.

أ- بعل ويم:

تدور القصة الأولى في سلسلة بعل حول العلاقة بين الإله بعل، والإله يم الذي يعني اسمه كما في العربية البحر، ويدعى أيضاً بالإله نهر الذي يعني كما في العربية المجرى المائي الدائم. إن الفكرة الرئيسية في هذه القصة، هي النزاع بين الإلهين. ومن الجدير بنا أن نلاحظ هنا وجه الشبه بين الجزء الأول من أسطورة التكوين البابلية (الإينوما إيليش، أو عندما في الأعالي) مع قصة بعل ويم، بما تحمله من قصة صراع الإله الشاب مردوخ

مكتبة الفكر الجديد

مع تعامة[1] التي تمثل مياه الغمر البدئي. وعلى الأرجح، فإن القصتين تتشاركان في الأصل، وتمتحان من ميراث أسطوري واحد.

يجري المشهد الافتتاحي في العالم الإلهي حيث إيل هو الإله الأعلى، ولكنه في واقع الحال ليس الإله الأكثر نشاطاً وفاعلية، لأن القوة الصاعدة في هذا العالم الإلهي هي الإله يم الذي يُعبّر عن قوى العماء والشواش المتمثلة بالمحيط المائي، وهو هنا يرغب في قصر له يمثل قوته ويعبر عن سطلته. يلي ذلك نشوء حالة توتر ونزاع على السلطة بين بعل ويم، تنتهي باحتدام قتال بينهما، يميل في البداية لصالح يم، ولكن بعل الذي تزود بسلاحين صنعهما له إله الحِرَف والصناعة، يحقق نصراً مؤزراً في النهاية:

تراقصت الهراوة بين يدي بعل،
وانطلقت كنسر من بين أصابعه،
أصابت الأمير يم في جبهته،
أصابت القاضي نهر بين العينين.
فتهاوى يم ساقطاً على الأرض،
اهتزت مفاصله وتهاوت مهمته.
جر بعل يم ومدده
وأجهز بعل على المبجل نهر.

بقية النص تالفة، ولكننا نفهم منها أن فوز بعل قد رفع مكانته بين الآلهة:

لقد مات يم،
وبعل بالتأكيد سيغدو ملكاً.

---

(1) في المراجع العربية المترجمة، غالباً ما يرد هذا الاسم بصيغة تيامات، ولكن علماء الأكاديات الغربيين يوردونه بصيغة Ti'amat حيث يقابل الرمز ' لفظ الهمزة وتُقرأ الكلمة بصيغة تي أمات. وقد اختار بعض الباحثين العرب إيراد الاسم بصيغة تقربه إلى العربية فقالوا: تعامة. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

إن هذه القصة في خطوطها العامة ذات صلة بأساطير أخرى في التكوين شائعة في الشرق القديم. ففي سياق عملية الخلق لدينا أولاً إلهة المياه البدئية التي تمثل العماء والشواش. يلي ذلك ظهور آلهة تمثل نظام الكون الذي يتحفز للظهور، ويحصل الصدام المتوقع بين الطرفين الذي ينتهي بانتصار قوى النظام على قوى الشواش، لتتهيأ الشروط اللازمة لعملية خلق الكون المنظم. في قصتنا هذه يمثل الإله يم قوى الشواش البدئية التي تهدد ظهور الكون المنظم، بينما يمثل بعل الخصب، وهو المنافح عن النظام. وبمصطلح الأسطورة، فإن انتصار بعل على يم هو تعبير ميثولوجي عن اندحار الشواش أمام النظام. وهكذا، فإن هذه الجزء الأول من سلسلة بعل ينطوي على روابط مع الخطوط العامة لميثولوجيا التكوين. وعلى الرغم من أننا هنا لسنا أمام أسطورةٍ متكاملةٍ في التكوين، إلا أن القصة تحمل شبهاً بإحدى مراحل قصة التكوين، وهي الانتصار المبدئي للنظام على الفوضى. وبصرف النظر عن مسألة التكوين، فإن التوتر بين النظام والشواش هو شأن حاضر في عالم الطبيعة، وبالتالي فإن قصة انتصار بعل يمكن النظر إليها باعتبارها توكيداً على الغلبة الدائمة للنظام على الفوضى التي تعاكسه على مستوى العالم الطبيعي. وهذا الانتصار ليس توكيداً على ديانة بعل فقط، وإنما إبانة عن هدفها الرئيسي أيضاً.

ب- بناء قصر لبعل:

القصة الثانية في أسطورة بعل عبارة عن نص طويل مركب ينتهي ببناء قصر لبعل. وكنا قد رأينا في القصة الأولى أن الإله يم هو من رغب في بناء قصر له أولاً، ولكن هزيمته على يد بعل قد قوضت سلطته. وبالمقابل فإن انتصار بعل قد وطد سلطته على بقية الآلهة، ولكن ضمن السلطة العليا للإله إيل، ولم يبق إلا أن يطالب ببناء قصر له، لأن ملكاً بلا قصر هو ملك

مكتبة الفكر الجديد

منقوص السيادة. وهكذا تأتي قصة بناء البيت لتستأنف الأحداث من حيث انتهت قصة انتصار بعل وحصوله على السيادة التي أعطته حق بناء قصر خاص به.

في قصة بناء القصر تتضح لنا مرة أخرى العلاقة بين الميثولوجيا والدين. ذلك أن قصر البعل في السماء يقابله معبد له على الأرض، وبمعنى ما، فإن تأسيس القصر السماوي هو الذي يجعل بناء المعبد الأرضي ممكناً، وكلاهما مسألة حيوية بالنسبة إلى الدين. إن القصر السماوي يزود بعل برموز السلطة والحماية؛ وطالما بقي مشيداً، فإن بعل يبقى قادراً على تزويد الأرض بما تحتاجه من مطر ضروري لنمو النبات. وبالمقابل، فإن معبد بعل الأرضي هو بمثابة اعتراف بملوكيته وسطلته، ولا بد من صيانته على الدوام وحمايته من القوى المهددة للفوضى والشواش، التي تعني عودتها المحْل والمجاعة.

من هنا، فإن النقطة المركزية لهذا الدين يمكن فهمها من خلال فكرة «الفوضى في مقابل النظام». ذلك أن حقيقة العالم الطبيعي هي إن عناصر الفوضى والنظام موجودة في صميمه، ولكن بدرجات متفاوتة. فانتظام المطر والفصول يتيح لحياة البشر والطبيعة الاستمرار، ولكن سيادة البحر الشواشي والحرارة الشديدة على العالم المنظم تهدد بفناء الحياة الإنسانية. من هنا، فإن الفعاليات الدينية ليست مجرد اعتقاد في انتصار قوى النظام على قوى الشواش، ولكنها في الوقت نفسه محاولة لدعم ذلك الانتصار، وإدامته من خلال العبادات المنتظمة والطقوس والقرابين.

ومع ذلك، فإن يم لم يكن إلا واحداً من ممثلي قوى الشواش، أما القوة الرئيسية الثانية المعارضة لبعل فكان الإله «م ت» (موت) الذي يشكل الشخصية المركزية في القصة الثالثة، قصة بعل وموت.

د- بعل وموت:

في قصة بعل وموت تسود فكرة الصراع مرى أخرى. فالإله موت، الذي يعني اسمه «المَنِيَّة»، يشكل التهديد الجديد لقوة وسلطة بعل، والتوتر الذي ينشأ بين الإلهين ينتهي بمعركتين. في المواجهة الأولى يُهزم بعل أمام موت ويُساق إلى العالم الأسفل الذي يحكمه موت. وبعد ذلك يتم إنقاذه من خلال الجهود المشتركة للإلهة عناة والإلهة شبَش إلهة الشمس التي تمثل وجهاً من وجوه النظام في الكون. وقد حققت الإلهة العنيفة عناة غايتها أخيراً عندما واجهت موت في معركة ضارية بينهما حيث:

أمسكت موت العظيم،
بسيف قطَّعته،
وبمذراة ذرته،
وبالنار أحرقته،
وبين حجري الرحى طحنته،
وفي الحقل بعثرت أجزاءه،
لتأكل الطيور بقاياه،
وتنقر العصافير أشلاءه.

وهكذا يعود بعل إلى عرشه وسلطانه بعد الهزيمة المفترضة لخصمه. ولكن أن نجعل الموت يموت هو مثل أن نجعل الماء رطباً. لهذا فموت ما لبث أن انتفض ثانيةً وعاد إلى تهديد سلطة بعل، فغادر مسكنه السفلي وصعد لمجابهة بعل في مسكنه الجبلي، وانفجر الصراع ثانية:

موت قوي، وبعل قوي.
تناطحا مثل ثورين وحشيين،
موت قويٌّ، وبعل قوي.

مكتبة الفكر الجديد

تعاضًا مثل أفعوانين،
موت قويٌ، وبعل قوي.
تدافعا مثل كلبين،
موت قوي، وبعل قوي.

ويبدو أن المعركة انتهت بتسوية بين الجانبين، من خلال تدخل كبير الآلهة إيل الذي أقنع موت بالعودة إلى دياره والسماح لبعل بالاستمرار في الحكم. أي إن الموت لم يُقهر في النهاية، على الرغم من استمرار النظام سائداً في الكون.

إن التفسير العام الأكثر احتمالاً لهذه الألواح الستة، هو أنها نتاج عملية تجميع وتنسيق لقصص متنوعة عن بعل. ومما لا شك فيه هو أن الكاتب إيل ميلكو قد أضفى لمسته التحريرية على هذه القصص المستقلة، ليجعل منها رواية متتابعة، وبطريقة بدت أحياناً اصطناعية. أما عن هدف إيل ميلكو من هذه العملية التجميعية لنصوص بعل فغير واضح لدينا. فلربما كان يعمل على وضع نصوص مرجعية موحدة، من شأنها في الوقت نفسه إلغاء الاختلافات والتباينات المحلية بخصوص بعل، ولربما كان يقصد إلى إنتاج «توراة كنعانية» وفق ما ارتآه أحد الباحثين الأوروبيين منذ عدة عقود. ولكن كل الاحتمالات تشير إلى أن هذه السلسلة الميثولوجية، قد استُخدمت بطريقة ما في الطقوس التي كانت تقام في معبد بعل، على الرغم من أننا لا نستطيع بثقة تحديد العلاقة بين هذه الأسطورة وطقوس المعبد، لأن النصوص بشكلها الذي وصلنا لا تحتوي على الحواشي والتعليمات التي تميز النصوص الطقسية عادةً. لربما كانت أساطير بعل الكبرى تتلى على حشد المعبد خلال الاحتفالات الفصلية الدورية؛ فهذه الأساطير رغم شكلها الأدبي الراقي، إلا أنها بالتأكيد كانت معدة للإلقاء والتلاوة أمام الجمهور.

إن هذه المجموعة من النصوص التي تدور حول الإله بعل، لذات أهمية بالغة تتجاوز حدود الأدب والثقافة في أوغاريت. فالإله بعل كان معبوداً في مصر وفلسطين وسورية، وفي أنحاء متفرقة من وادي الرافدين، ومع ذلك فلم نكن نعرف إلا القليل عن طبيعة العقائد المتصلة به قبل اكتشاف نصوص أوغاريت التي ملأت الفراغ في معلوماتنا عن عبادة هذا الإله والأساطير المتصلة بها. وكما سنرى في الفصل المقبل، فإن ملء الفراغ هذا سيكون له أثر بالغ في دراسة كتاب العهد القديم وعالمه.

مكتبة الفكر الجديد

الفصل الخامس

العهد القديم
والدراسات الأوغاريتية

قبل أكثر من نصف قرن مضى كانت حضارة أوغاريت في طي النسيان، أما اليوم وبعد الجهود الأركيولوجية الحثيثة التي بُذلت منذ عام 1929 فقد صرنا نعرف عنها الكثير. وهذه المعرفة التي حصلنا عليها قد تجاوزت حدود مملكة أوغاريت الصغيرة، وأحدثت بشكل خاص ثورة في معرفتنا بعالم الكتاب المقدس. ذلك أن حضارة أوغاريت تنتمي إلى المجال الحضاري الكنعاني الأوسع، والذي يشكل بدوره البيئة الثقافية لقسم كبير من قصص وأحداث العهد القديم. ولهذا فإن معرفتنا العامة بمناحي الحياة في أوغاريت من شأنها المساهمة في زيادة قدرتنا على فهم عالم الكتاب المقدس. فالدراسات الأوغاريتية لا تلقي الضوء على الثقافات التي كانت مجاورة للعبرانيين في العصور القديمة فقط، ولكنها تلقي الضوء أيضاً على الكثير من الممارسات والعادات ضمن المجتمع العبري نفسه، وإن يكن بطريقة غير مباشرة، فهي تقدم لنا العون على فهمٍ أفضل لعالم الكتاب المقدس والدخول إلى حياة ذلك العالم وثقافته.

منذ السنوات الأولى لاكتشاف أوغاريت بُذلت جهود كثيرة لإجراء دراسات مقارنة تفصيلية. فقد قورنت نصوص أوغاريتية معينة بنصوص كتابية (نسبة إلى الكتاب المقدس) أخرى، وجرى الخروج بنتائج معينة. كما أن بعض العادات الدينية التي يشف عنها الأدب الأوغاريتي قد قورنت أيضاً بعادات نستشفها من القصص الكتابي. كما وجرى طرح أفكارٍ بخصوص معاني كلمات كثيرة غامضة في اللغة العبرية الكتابية

مكتبة الفكر الجديد

اعتماداً على كلمات أوغاريتية مثيلة لها. وهكذا تمت بطرق شتى صياغة الفرضيات القائمة على الدراسات المقارنة الأوغاريتية - الكتابية.

على أن مثل هذه المقارنات بين أوغاريت ومجتمع العهد القديم تعترضها بعض الصعوبات. فمن ناحية أولى، فإنه على الرغم من التشابه بين الحضارة الأوغاريتية والحضارة الكنعانية، هنالك عدد من الاختلافات يدعونا إلى عدم الافتراض دوماً بأن الشواهد المأخوذة من المصادر الأوغاريتية تمثل فعلاً حضارة فلسطين الكنعانية في ذلك الإقليم الجنوبي حيث جرت الأحداث الرئيسية للعهد القديم. ومن ناحية ثانية، فإنه لا يمكن تجاهل المسافة الجغرافية الواسعة التي تفصل أوغاريت في الشمال عن عالم العهد القديم في الجنوب. وحتى يومنا هذا هنالك اختلافات مميزة بين اللغة العامية لمنطقة اللاذقية والعامية الفلسطينية. ويجب ألا ننسى أيضاً أن مملكة أوغاريت قد ازدهرت ثم زالت قبل أن تدخل المملكتان العبريتان يهوذا والسامرة حيز التاريخ. كل هذا من شأنه أن يفرض صعوبات ذات طبيعة كرونولوجية على أية دراسة مقارنة تتوخى الدقة. وهنالك مشكلة أخيرة تتعلق بطبيعة المادتين الأوغاريتية والكتابية، فالنصوص الأوغاريتية غير كاملة في الغالب، والنقص الحاصل فيها يؤثر على فهمنا وتفسيرنا لها، كما أن نصوص العهد القديم لم تصل إلينا في حِلَّتها الأصلية بل عبر قرون من النسخ وإعادة النسخ بيد الكتبة.

بسبب صعوبات من هذا النوع، فإن تطور الدراسة المقارنة العبرية- الأوغاريتية قد تميز بنجاحات باهرة وبإخفاقات مريرة أيضاً. إن الصعوبة التي يواجهها المرء في قراءة ذلك الفيض من الأدبيات المنشورة حول هذا الموضوع، تكمن في التمييز بين النجاحات والإخفاقات. ولسوف نعرض فيما يلي أمثلة عن كلا النوعين، بعضها ينمُّ عن الفهم الجديد والأصيل الذي قدمته الدراسات الأوغاريتية من أجل معرفة العهد القديم، وبعضها

مكتبة الفكر الجديد

الآخر يكشف عن مخاطر الدراسات المقارنة، وكيف يتلاشى وعدها بالإيضاح عندما يجري بحث الأدلة المقدمة بحرص ودقة. إن المقارنات التي سنعرضها فيما يلي، قد تم اختيارها كأمثلة عن أنواع مختلفة من الإضاءات التي تلقيها نصوص أوغاريت على نصوص معينة من العهد القديم. بعض هذه الأمثلة يمت إلى اللغة والأدب، وبعضها الآخر إلى الدين والثقافة والنواحي الحضارية، مع التوكيد على أن ما سنقدمه في هذا الحيز الضيق هو عيِّنة صغيرة عما يمكن لأوغاريت القديمة أن تقدمه في هذا المجال، والذي لا يمكن حصره في هذه الصفحات القليلة.

1. المزمور 29 وكتاب التراتيل الكنعاني:

إن المؤلفين والكُتَّاب هم في الوقت نفسه قرَّاء وسمَّاعون، وهذا يعني أن الكلمات التي يكتبها شخص ما قد تتأثر بكلمات أخرى سمعها أو قرأها. من هنا فإن من بعض ممهم النقد الأدبي هي الكشف عن الكلمات والأعمال التي ربما كان لها تأثير في أدب الكاتب، لأن الكثير من المؤلفين الكبار المبدعين قد تأثروا بشكل ما بمؤلفين سابقين دون أن يفقدوا خصوصيتهم وتميز إنتاجهم. وعل سبيل المثال فإن الأثر الذي تركه شكسبير في الأدب الغربي يمكن تتبعه في أعمال بايرون وشيللي، والأثر الذي تركه ميلتون يمكن تقصيه وراء سطور وردزورلث ووليم بليك وغيرهما. ولقد خضع مؤلفو أسفار العهد القديم بدورهم إلى تأثيرات مماثلة، كما يمكن أن نتوقع، ولكنهم على تأثرهم من حيث الأسلوب والصياغة بمصادر خارجية، فقد حافظوا في الوقت نفسه على خصوصيتهم ونفاذ بصيرتهم.

في مطالع القرن العشرين قام الباحثون بالتوكيد على ما تركه الأدب

مكتبة الفكر الجديد

المصري والبابلي من أثر في مؤلفي العهد القديم. وقد جاء هذا كنتيجة طبيعية للاكتشافات الباهرة والمكثفة لأوابد الحضارتين المصرية والرافدينية، ولآدابهما التي وُضِعت قيد الدراسة والبحث. ولكن كما هو الحال في مجالات أخرى من مجالات البحث، فإن الحماس الزائد للمقارنة قد يؤدي إلى نتائج تخمينية ومحوطة بالشكوك. إن بعض المقالات التي نُشرت خلال العقود الأولى من القرن العشرين توحي لنا، إذا فُهمت حرفياً، بأن مؤلفي العهد القديم لم يمتلكوا أفكاراً أصيلة قط، وأن كل ما كتبوه كان في كليته استعارة من مصر أو بلاد الرافدين.

ولكن بعد اكتشاف رأس شمرا والأدب الأوغاريتي، صار من الطبيعي أن نلتفت أكثر إلى هذا الأدب من أجل استقصاء المؤثرات الخارجية في مؤلفي العهد القديم. فلقد كانت أوغاريت أكثر قرباً إلى مجتمع العهد القديم من كل من مصر وبابل، وكانت لغتها على صلة نسب وثيقة باللغة العبرية. وهذا ما قد يدفع البعض إلى التخمين بأن مؤلفي العهد القديم ربما قرأوا أو سمعوا كلاسيكيات الأدب الأوغاريتي، أو أعمالاً أخرى تنسج على منوالها، وأن هذه الكلاسيكيات قد مارست بشكل ما تأثيراً فيهم.

يطرح المزمور 29 نفسه كمثال ناطق، استخدمه الباحثون لإظهار المؤثرات الكنعانية أو الأوغاريتية في النصوص الشعرية في العهد القديم. وهذا المزمور عبارة عن ترتيلة شديدة التأثير، موضوعها مدح الإله وإظهار عظمته وقوته، من خلال التوكيد على صلته بالبرق والرعد والعاصفة المطرية. وقد وردت المطابقة بين الرعد وصوت الرب سبع مرات في هذا النص، وهو الصوت الذي يهز الأرض حتى أساساتها، ويستثير الروع في قلوب العباد:

صوت الرب على المياه، إله المجد أرعد.
الرب فوق المياه الكثيرة.

صوت الرب بالقوة، صوت الرب بالجلال.

صوت الرب مُكسر الأرز، ويكسر الرب أرز لبنان.

صوت الرب يقدح لهب نار.

صوت الرب يزلزل البرية، برية قادش.

يولّد الأيل ويكشف الوعور.

وفي هيكله الكل قائلٌ مجدٌ.

الرب بالطوفان جلس، ويجلس الرب ملكاً إلى الأبد.[1]

فما هي المؤثرات الخارجية التي كانت فاعلة في ذهن مؤلف هذه الترتيلة المميزة، في حال وجودها؟

في عام 1935 قام الباحث البارز في العهد القديم هارولد. ل. جينسبيرغ بتقديم فرضية مفادها أن المزمور 29 هو ترتيلة فينيقية وَجدت طريقها إلى سفر المزامير. وقد اجتذبت فرضية جينسبيرغ هذه باحثين آخرين جادين، لما عُرف عنه من تعمق في اللغة العبرية وفي الدراسات الأوغاريتية، ولم يكن في الوقت نفسه ممن يلقون الكلام على عواهنه ويتسرعون في القفز إلى النتائج. في سياق دعمه لهذه الفرضية أشار جينسبيرغ إلى الأفكار الوثنية في المزمور، لاسيما التوكيد مراراً على صوت الرب، وما يوحي به ذلك من أن الترتيلة كانت موضوعة في الأصل لتمجيد إله العاصفة الكنعاني بعل. كما نبَّه إلى وجود إشارات جغرافية في المزمور تدل على أصله الفينيقي أو السوري، وإلى بعض الخصائص النحوية في لغته توجهنا نحو الشمال السوري، ورأى أخيراً أن الترتيلة تُختتم بكلمات هي بقية من صيغة مستخدمة في النصوص الميثولوجية الأوغاريتية، عندما تقول: «الرب بالطوفان جلس، ويجلس الرب ملكاً إلى الأبد».

---

(1) لم يورد مؤلف الكتاب نص هذا المزمور، ولكننا ارتأينا اقتباسه بنصه الكامل تقريباً زيادة في الإيضاح. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

وقد قام باحثون آخرون في السنوات التالية بتطوير نظرية جينسبيرغ. فقد اقترح ثيودور. هـ. جاستر، أن المزمور 29 هو مزمور كنعاني الأصل تم تعديله باستبدال اسم بعل باسم إله العهد القديم يهوه. ثم قام بعقد مقارنة بين هذه العملية وما قامت به جماعة جيش الخلاص المسيحية، عندما لجأوا في مطلع دعوتهم إلى تبنّي الأغاني الدنيوية بعد تحويرها لتغدو أغاني دينية، وبرروا ذلك بقولهم المشهور: «لماذا يجب أن يحتكر الشيطان أفضل الألحان؟».

مع حلول عام 1950 بدت هذه النظرية آمنة من النقد. وقد اعتبر فرانك. م. كروس، من جامعة هارفارد أن البينات حاسمة بخصوص المزمور 29، واعتبره نموذجاً كلاسيكياً لدراسة طبيعة الشعر الكنعاني. ولكن الدراسات التي جرت بعد ذلك أثارت مشكلة جديدة، فإذا كان المزمور 29 كنعانياً فعلاً، فما الذي أتى به إلى الكتاب المقدس؟ حول هذه المسألة اقترح ف. تشارلز فينشام، وهو باحث من جنوب أفريقيا، بأن هذا المزمور ربما استُخدم كأداة تبشيرية من قبل المتدينين المتحمسين من أجل استمالة الكنعانيين، وإعادة جذب المنحرفين عن الإيمان.

ولكن عندما نتأمل في حصاد هذه العقود الطويلة من الأبحاث التي تركزت على المزمور 29، فإن صورة أوضح تبدأ بالظهور أمام أعيننا. فليس في حكم المؤكد أن هذا المزمور قد أُخذ بقضه وقضيضه عن الفينيقيين أو الكنعانيين بعد استبدال اسم بعل بالاسم يهوه، وبعد الفحص الدقيق نجد أن البيِّنات غير كافية لدعم هكذا وجهة نظر، على الرغم من توفر الحجج على أن الشعر الكنعاني قد مارس نوعاً من التأثير في مؤلف المزمور 29.

من المحتمل أن يكون شاعر المزامير قد تعرَّف على ترتيلة كنعانية

مكتبة الفكر الجديد

أثَّرت فيه بشكل عميق، فعمد إلى تقليدها بعد إدخال تعديلات طفيفة عليها لكي تُعبَّر عن فهمه وتمجيده لإلهه. ومن المرجّح أن يكون قد لجأ إلى التقليد بشكل متعمّد، لأنه أراد أن يُحدّث مستمعيه من المتعبدين الذين سيستخدمون المزمور عن عظمة إلهه، ويطرح في الوقت نفسه فكرة لاهوتية مفادها أن يهوه ليس إلهاً للتاريخ فقط، إلهاً أخرج شعبه من مصر وقادهم عبر سيناء إلى الأرض التي وعدهم بها، بل هو إله للطبيعة أيضاً. وبما أن الكنعانيين من سكان الأرض كانوا يعتقدون بأن بعل هو إله الطبيعة، فقد عمد صاحب المزمور ببراعة تامة إلى قلب الموازين وأعطى مجال الطبيعة إلى يهوه، مستخدماً في ذلك اللغة التي تُستخدم عادةً في عبادة بعل، لأن بعل ليس إلهاً حقيقياً، ومثل هذه اللغة جديرة فقط بالإله الحق الذي هو يهوه.

وهكذا فإن تقليد المزمور 29 لتعابير الكنعانيين يزودنا بأفكار ذات أهمية بالنسبة إلى فهمنا لديانة العهد القديم. فالإله يهوه ليس مقتصراً على التاريخ، وإنما ينبغي عبادته أيضاً بما هو إله للطبيعة، ومن الخطأ الاعتقاد بأن للإله بعل أي سلطة حقيقية على مجال الظواهر الطبيعانية، وهو الاعتقاد الذي كان سائداً لدى الكنعانيين. إن بعل ليس بذي بال، ولكن الرب يجلس ملكاً إلى الأبد، على ما تورده الفقرة 10 من المزمور.

إن قوة المزمور 29 ومراميه البعيدة الغور، كانت واضحة للعيان قبل اكتشاف نصوص أوغاريت. ولكن نصوص أوغاريت قدمت لنا شيئاً جديداً، فقارئ المزمور الآن يعرف شيئاً أكثر من الخلفيات، يعرف عن القوى الخفية التي كانت تُنازع عبادة يهوه. والمزمور ليس مجرد تمجيد ليهوه باعتباره سيد الطبيعة فقط. ولكنه يمجده بهذه الصفة في عالم يسود في الاعتقاد بأن بعل هو سيد الطبيعة.

مكتبة الفكر الجديد

2. عاموس «الراعي»:

إن إحدى الأحجيات التي ما زالت قائمة في البحث الكتابي، هي معرفة شيء بخصوص طبيعة مهنة النبي عاموس قبل أن يبدأ مهمته التبشيرية. فالإصحاح الأول من سفر عاموس يقول لنا إنه من بلدة تقوع (الواقعة على مسافة بضعة أميال إلى الجنوب من بيت لحم). ففي هذه البلدة عاش وعمل خلال النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد. أما عن مهنته فيفيدنا الإصحاح 7:14-15 بأنه كان راعياً وزارع ثمار: «فأجاب عاموس وقال: لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبي، بل أنا راع وجاني جُمَّيز. فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي: اذهب تنبأ لشعبي». أما الكلمة التي استخدمها النص العبري للدلالة على الراعي فهي «نوقد» التي تُرجمت إلى «راعي». ولكن المشكلة تكمن في أن الكلمة التي استُخدمت في أسفار الكتاب للتعبير عن الراعي هي «روعي/ ر و ع ي هـ» وليست «نوقد». أما الكلمة «نوقد» فلم تستخدم للدلالة على الراعي خارج سفر عاموس إلا في سفر الملوك الثاني 4:3، حيث وُصف ميشع ملك مؤاب بأنه «نوقد»، وتُرجمت هذه الكلمة إلى «صاحب مواشٍ»[1]. هذه الندرة في استخدام الكلمة، هي التي خلقت الشكوك بخصوص معناها الدقيق.

من بين الألواح الأولى التي اكتشفت في رأس شمرا، عدد من الألواح الكبيرة التي احتوت على سلسلة بعل. وفي نهاية أحد هذه الألواح ورد تذييل خطه ناسخ الألواح إيل ميلكو يصف نفسه فيه بأنه تلميذ المدعو «أ ت ن. ب ر ل ن» رئيس الكهنة ورئيس الرعاة. أما الكلمة التي ترجمت

(1) «وكان ملك مؤاب صاحب مواشٍ، فأدى لملك إسرائيل مئة ألف خروف ومئة ألف كبش بصوفها.» (2 ملوك 3 : 4). ونلاحظ من هذا المقتبس الفرق بين الراعي وصاحب المواشي. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

هنا بالرعاة فهي الكلمة الأوغاريتية «ن ق د» والتي تشكل المعادل اللغوي الدقيق لكلمة «نوقد» العبرية. ونحن إذا أخذنا بهذا الشاهد الأوغاريتي وحده، لقلنا إن «الرعاة» في هذا النص كانوا جماعة ذات وظيفة دينية، شأنهم شأن الكهنة، لأن النص يشير بقوة إلى أنهم خدم للمعبد وتحت إمرة الكاهن الأعلى.

هذا الاحتمال قد جرى استقصاؤه من قبل عدد من الباحثين الإسكندنافيين الذين اقترحوا، بناءً على الشاهد الأوغاريتي، أن «الرعوية» هنا ذات خصيصة دينية، وأن هذا النوع من «الرعاة» المدعو «نقد» كانوا موكلين بماشية المعبد، ومن الممكن أنهم كانوا موكلين أيضاً بتحضير الماشية لطقس القربان. اعتماداً على هذه البيّنة الأوغاريتية، فقد ناقش هؤلاء الباحثون في أن عاموس أيضاً ربما كان خادماً في الهيكل وموكلاً بأمر الماشية فيه ومولجاً بطقوس الذبائح الحيوانية.

إذا استطاعت هذه الفرضية أن تصمد، فستكون ذات فائدة خاصة في تفسير مهمة النبي عاموس. فقد كان عاموس من مواطني دولة يهوذا الجنوبية، ولكن مهمته التبشيرية القصيرة كانت في الشمال في دولة السامرة، وفي السامرة قال عاموس لملكها أمصيا إنه ليس نبياً ولا ابناً لنبي، مما اقتبسناه آنفاً، والذي فُسِّر بأنه لم يكن نبياً طقسياً ولا خادماً في المعبد. ولكن إذا كان عاموس فعلاً خادماً في هيكل أورشليم، كما يقترح الباحثون الإسكندنافيون، فإن نقده لديانة ومجتمع المملكة الشمالية ينبغي تفسيره على ضوء صِلاته الرسمية ووضعه في الهيكل.

ولكنه في حكم المؤكد تقريباً، أن الباحثين الإسكندنافيين كانوا على خطأ. وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى أن فرضيتهم استندت إلى نص أوغاريتي واحد وردت فيه كلمة «ن ق د». ومع أن النص الذي استخدموه يدل على أن لكلمة «ن ق د» روابط دينية، إلا أن الكلمة نفسها وردت في

مكتبة الفكر الجديد

تسعة نصوص أوغاريتية أخرى، كما وردت أيضاً في نصين أكاديين من نصوص أوغاريت. فإذا أخذنا هذه الشواهد مجتمعة، لوجدناها تشير بقوة إلى أن استخدام كلمة «ن ق د» في تذييل إيل ميلكو كان من النوع الخارج عن المألوف.

إن النصوص الأخرى التي وردت فيها الكلمة، تدل على أن هؤلاء الرعاة الأوغاريتيين كانوا يشكلون شريحة اجتماعية معينة تتبع القصر الملكي وتقدم له الخدمات، على عكس تلك القلة العاملة في المعبد والتي تتبع مباشرةً إلى الكاهن الأعلى. وقد كانت شريحة الرعاة هذه جاهزة للخدمة العسكرية لحساب الملك، ومن الممكن أنها تلقت مزايا خاصة، مثل الإقطاعات الزراعية. وكان عليها أن تدفع الضرائب مثل غيرها من الشرائح، ولكنها تميزت بالمكانة الاجتماعية الراقية. وباختصار، فإن الشواهد الأوغاريتية تدل على أن الـ «ن ق د م» كانوا رجالاً من ذوي المكانة والنفوذ، ولم يكونوا مجرد رعاة بسطاء، وإنما مُلاكاً لقطعان ضخمة من الماشية، وربما عملوا أيضاً في تجارتها وتسويق منتجاتها.

على هذه الخلفية العامة ينبغي أن يرتكز تفسيرنا لخلفية عاموس وحياته المهنية. فنحن عندما نقرأ عن عاموس الراعي تخطر في ذهننا صورة الراعي البسيط، ونعجب بالتالي لرجاحة عقله وسطوة خطابه. ولكن لعل من الأفضل والأنسب أن ننظر إلى عاموس باعتباره «نوقد» يشبه الـ «ن ق د» الأوغاريتي. فلعله كان مالكاً لقطعان عديدة من الماشية، ويعمل أيضاً في تجارتها وتسويق منتجاتها، ولربما كانت هذه النشاطات هي التي ساقته من موطنه في يهوذا إلى بلدات ومدن السامرة في الشمال ليبيع بضاعته هناك. كما أن الشواهد إذا أُخذت مجتمعةً تدل على أن عاموس قد انهمك أيضاً بالأعمال الزراعية إلى جانب الأعمال الرعوية. ولعله انطلاقاً من هذا الموقع المتميز دُعي ليكون نبياً، وهي المهمة التي قبلها بشكل كامل.

مكتبة الفكر الجديد

3. لا تطبخ جدياً بلبن أمه؛

(التثنية 21:14)

تحتوي شريعة موسى على العديد من الفقرات الغريبة والغامضة بالنسبة إلى القارئ الحديث. إن الأفكار الرئيسة لهذه الشريعة معروفة جيداً، فهي تتعلق بالمسائل الأخلاقية، والقرابين، والشعائر والاحتفالات الدينية، وغير ذلك من المسائل الدينية والدنيوية. إلا أن الكثير من المقاطع الأخرى يبدو غريباً عن السياق العام. من ذلك مثلاً ما وردَ في سفر التثنية 6:22-7 «إذا اتفق قدامك عش طائر في الطريق، في شجرة ما أو على الأرض، فيه فراخ أو بيض، والأم حاضنة الفراخ أو البيض، فلا تأخذ الأم مع الأولاد، أطلق الأم وخذ لنفسك الأولاد لكي يكون لك خير وتُطيل الأيام». وأيضاً ما ورد في سفر التثنية 12:22 «اعمل لنفسك جدائل على أربعة أطراف ثوبك الذي تتغطى به». وهناك أمثلة عديدة أخرى على مثل هذه الوصايا التي لا يستطيع الإنسان الحديث فهمها وتحديد أهميتها.

ولدينا واحد من أهم الأمثلة على غرابة هذا النوع من الوصايا، ورد في سفر التثنية 21:14، وأيضاً في سفر الخروج 19:23، حيث نقرأ: «لا تطبخ جدياً بلبن أمه». وهنا يميل المرء للتساؤل عما يدفع العبراني القديم للتفكير في طبخ جدي بلبن أمه! وفي الحقيقة، فإنه من غير المحتمل أن نستطيع فهم هذا التحريم إذا لم نعرف معنى مثل هذا الإجراء الذي يتضمن طبخ جدي بلبن أمه. منذ قرون عديدة تقدم الفيلسوف والمفسر اليهودي ميمونيدس باقتراح يفسر معنى الإجراء، وذلك في كتابه: «دليل الحائر» «The Guide for the Perplexed (حوالي عام 1195م). حيث يقول:

«إن اللحم المطبوخ باللبن هو بلا شك غذاء دسم ويعطي إحساساً بالامتلاء والشبع، ولكني أرجح أن تحريمه ناجم عن صلته بشكل ما

مكتبة الفكر الجديد

بالعبادات الوثنية، حيث كان يشكل جزءاً من طقس معين، أو يستخدم في بعض الاحتفالات الدينية الوثنية....».

قد يبدو تفسير ميمونيدس قريباً من الصحة، ولكن ميمونيدس يعترف بأنه لم يعثر في الكتب القديمة الخاصة بالطقوس الدينية، مما وقع بين يديه، على أي شاهد يدعم تفسيره هذا. وهنا تأتي اكتشافات رأس شمرا في القرن العشرين لتقدم وعداً بالحل، فلعل هذا المصدر الجديد لمعارفنا بخصوص دين الكنعانيين يزودنا بمفتاح لفهم معنى هذه الفقرة القديمة من الشريعة الموسوية. في عام 1933 نشر شارل فيروللو ترجمته للوح فخاري اكتُشف حديثاً بين أنقاض أوغاريت، تحت عنوان «مولد الآلهة الجميلة واللطيفة». والنص على ما يبدو ذو طبيعة دينية. على الوجه الأول لهذا اللوح لدينا نص يحتوي على عدد من الإرشادات الدينية والطقسية، وعلى الثاني هنالك نص يحتوي على قصة شخصيتها الرئيسية الإله إيل تحكي عن إحدى مغامراته الجنسية. وقد اعتقد فيروللو بأن هذا النص على صلة بالطقوس الدينية الموصوفة في النص الموجود على الوجه الأول للوح الفخاري.

وعلى الرغم من حالة اللوح الجيدة إلا أن بعض أجزائه كانت صعبة للقراءة بسبب تآكل سطحيه، ومنها السطر رقم 14 من الوجه الأول الذي خمَّن فيروللو معناه وترجمه على الوجه التالي: «اطبخ جدياً باللبن». ومع اعترافه بالطبيعة التخمينية لقراءته فإنه لم يُعلّق على هذه القراءة، ولم يستخلص منها أي نتيجة. بعد عامين قام هارولد.ل. جينسبيرغ بنشر دراسته حول الرقيم نفسه، واقتفى أثر فيروللو في ترجمته للسطر المذكور أعلاه، مع لفت النظر إلى كونه يلقي ضوءاً على الفقرة 21:14، من سفر التثنية التي تقول: «لا تطبخ جدياً بلبن أمه»، مبدياً بذلك وقوفه إلى جانب اقتراح ميمونيدس القديم بخصوص معنى الفقرة.

وهكذا، ومنذ عام 1935 تبنَّى عدد كبير من الباحثين هذا التفسير ورأوا فيه ما يلقي ضوءاً على خلفية الشريعة العبرانية؛ فلقد كان تفسيراً جذَّاباً ويمكن بسط مضمونه وفق التالي: يبدو أن النص الكنعاني يصف أحد الطقوس ذات العلاقة بالخصب والجنس، ومن الممكن أنه يحتوي على نشاطات جنسية يقوم بها المحتفلون، وأن طبخ جدي باللبن كان يشكل إحدى مراحل هذا الطقس. في حال الموافقة على هذا التفسير، فإن الفقرة الغامضة في سفر التثنية تبدأ في التوضح، ذلك إن الشريعة العبرية غير الواضحة لذهن القارئ الحديث كانت واضحة تماماً في ذهن القارئ القديم، وهذا التحريم البسيط يخفي وراءه شيئاً أكبر، لأنه يحرم هذا النوع من الطقوس الدينية التي يمارسها الكنعانيون، بما تنطوي عليه من جنسانية بشرية وإلهية محظورة على العبرانيين. إن ما تحظره الشريعة هنا هو القيام بممارسات دينية شبيهة بممارسات الكنعانيين، قد تروق للطبيعة الإنسانية ولكنها محرَّمة من خلال النص المقدس.

ربما كانت المعقولية المتضمنة في هذا التفسير الذي يعتمد النص الأوغاريتي من أجل إلقاء الضوء على النص الكتابي، هي التي أدامته كل هذه السنين عقب الاقتراح المبدئي للباحث جينسبيرغ في عام 1935. ولكننا في واقع الحال أمام مثال عن الطرق الملتوية التي قادت بها نصوص أوغاريت الباحثين التوارتيين. فلدينا اليوم عدد من الأسباب لرفض هذا النص الأوغاريتي باعتباره موضحاً للنص الكتابي. فمن الواضح في المقام الأول هو أن الفقرة التشريعية تمنح طبخ جدي بلبن أمه لا طبخ جدي في اللبن على ما هو الحال في النص الأوغاريتي الذي لم يذكر الأم. وفي المقام الثاني، إذا كان تخمين فيروللو بخصوص قراءة النص مقبولة، إلا أن الكلمة التي ترجمها على أنها «تطبخ»، هي في حكم المؤكد الآن «تذبح».

مكتبة الفكر الجديد

إن ما يبدو لنا الآن، وهو الأهم، أن ترجمة فيروللو التخمينية للسطر خاطئة، وأن النص المذكور ينبغي أن يُترجم بطريقة مختلفة تماماً.

إننا لا نسوق هذه الملاحظات من أجل توجيه النقد إلى فيروللو وجينسبيرغ وغيرهما من الباحثين الذين مشوا في ركابهما، لأن التخمين والافتراض في الدراسات الرائدة أمر ضروري ولا بد منه. ولكن فرضيات هؤلاء العلماء السباقين قد خضعت بتوالي الأيام إلى الفحص والاختبار، فجرى قبول بعضها مثلما جرى رفض بعضها الآخر. وقد كان حظ هذه الفرضية بالذات الرفض. وبمعنى آخر فإن النص الأوغاريتي هنا لا يلقي أي ضوء على سفر التثنية 21:14. ومع ذلك، فإن الاقتراح الذي تقدم به ميمونيدس قبل بضعة قرون يبقى اليوم محتملاً مثلما كان عندما تقدم به صاحبه للمرة الأولى. فبالرغم من أن النصوص الأوغاريتية لم تقدم لنا أي عون على فهم تلك الفقرة من الشريعة الموسوية، فإن الاحتمال يبقى قائماً وقوياً في أن يكون النص الكتابي يمنع أداء أحد الطقوس المركزية في ديانة كنعان وأوغاريت.

4. المزمور 104، ترتيلة كونية:

لمدة طويلة من الزمان سحر المزمور 104 الباحثين المهتمين بالدراسة المقارنة للأدب الكتابي. إنه مزمور كلاسيكي يُعبر من خلال الشعر الغنائي عن عجائب الخلق التي وردت مفصلة بالأسلوب النثري في الإصحاح الأول من سفر التكوين. ولعل تركيز هذا المزمور على الأفكار المتعلقة بالخلق، هو الذي دعا الباحثين إلى مقارنته بالنصوص القديمة الأخرى التي تدور حول الأفكار نفسها.

في البداية، قام الباحثون الأوائل بإجراء مقارنات عامة لم يشاؤوا لها أن

مكتبة الفكر الجديد

تكون أساساً لفرضية معينة. ففي عام 1753 قام الأسقف Robert Lowth، الذي كان أستاذاً للشعر في جامعة أكسفورد بنشر كتابه الشهير «محاضرات في الشعر المقدس عند الكنعانيين». وقد لفت النظر في هذه المحاضرات إلى العديد من المتوازيات بين الشعر الكتابي والشعر الكلاسيكي (اليوناني والروماني). وفيما يتعلق بالمزمور 104 لم تخطر له سوى مقارنة تقريبية واحدة أجراها مع ترتيلة لكلينتيث الرواقي (Stoic Cleantes) التي رأى فيها ما يجاري المزمور 104 في الرفعة والروعة.

بعد ذلك قام باحثون من أمثال هيردر في ألمانيا بإجراء مقارنات غامة بين المزمور 104 وأنواع أخرى من الأدب غير الكتابي. ولكن خلال العقود الأولى من القرن العشرين حصل تغير في منحى الدراسة المقارنة لهذا المزمور، كان دافعه اكتشاف الأرشيف الملكي الفرعوني في موقع تل العمارنة بمصر خلال أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وما تبع ذلك من اكتشاف المقابر الصخرية للأسرة المالكة في عصر العمارنة (أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد). فلقد مهدت هذه الاكتشافات لدراسة ما تركه الفرعون أخناتون من تراتيل وبينها ترتيلة الشمس الطويلة المعروفة.

في عام 1905 قام عالم المصريات الأميركي الشهير بريستد (J.H. Breasted) بلفت النظر إلى الشبه القريب بين المزمور 104 وترتيلة الشمس لأخناتون. وبعد بضع سنوات، وبتشجيع من ملاحظات الباحث الألماني هوجو غريسمان (Hugo Cressmann)، سار بريستد خطوات أبعد في المقارنة بين الترتيلتين واعتبر أن الترتيلة المصرية تكشف عن أصل الترتيلة الكتابية في إعلائها لشأن الإله باعتباره صاحب الخلق الطيب والحسن.

منذ ذلك الوقت وكل الباحثين تقريباً يعترفون بوجود شبه بين المزمور 104 وترتيلة أخناتون، على الرغم من أن قلة منهم اليوم تقول بوجود

مكتبة الفكر الجديد

صلة مباشرة بين النصين. ومن ناحية أخرى، فإن الشبه مع المزمور 104 لا يقتصر على ترتيلة الشمس لأخناتون، وإنما يتعداها إلى تراتيل مصرية أخرى مكرسة للشمس أيضاً. وإذا ما تم توسيع قاعدة المقارنة، فإن العديد من المتوازيات تبدو واضحة بين المزمور وتراتيل بابلية مكرسة لإله الشمس البابلي شَمَشْ. إن تزايد عدد المقارنات بين المزمور 104 وغيره من نصوص الشرق القديم، من شأنه تقليص الاحتمال باعتماده على بعض النصوص الأسبق منه، ولكنه يؤكد بالمقابل على الطبيعة الكونية لهذا المزمور.

وتلقي نصوص أوغاريت من ناحيتها مزيداً من الأضواء على خصائص المزمور، لاسيما على أبياته الافتتاحية. فلغة الشاعر الكتابي في هذه الأبيات تشف عن تشابهات كبيرة مع لغة نصوص بعل الأوغاريتية. فصاحب المزمور هنا يصف الرب بأنه «الجاعل السحاب مركبته» (الآية 3). وبالمقابل فإن بعل في النص الأوغاريتي يوصف بأنه «راكب السحاب». وفي المزمور نقرأ عن «النار واللهب» باعتبارهما تجسيداً لخدم الرب: «الصانع ملائكته رياحاً، وخدامه ناراً ملتهبة» (الآية 4). وبالمقابل فإن النص الأوغاريتي يتحدث عن استخدام «النار واللهب» في تحضير الفضة والذهب لبناء بيت لبعل. وفي المزمور نقرأ عن الرعد باعتباره صوت الرب: «من صوت رعدك تفر» (الآية 7). وكذلك الأمر في النص الأوغاريتي الذي يعادل بين الرعد وصوت بعل. وفي البيت 16 من المزمور نقرأ عن أرز لبنان، وفي النص الأوغاريتي يجري استخدام أخشاب لبنان في بناء بيت لبعل. ويصف المزمور الرب بأنه الذي يسقي من عُلاه الأرض: «المفجر عيوناً في الأودية، الساقي الجبال من علاليه (10و13). وفي النص الأوغاريتي نجد أن بعل يسقي الأرض من كوة في بيته.

هذه التشابهات، وغيرها، موجودة بين المزمور 104 والأدب الأوغاريتي. ولكن ما هو تفسيرها؟ وما هو تفسير التشابه مع الترتيلة المصرية، ناهيك عن التراتيل البابلية؟ إن أي تفسير سيكون له طابع التخمين، ومع ذلك فباستطاعتنا طرح فرضية في هذا المجال.

من المحتمل جداً أن يكون المزمور 104 من نتاج عصر سليمان، وهي فترة من أكثر فترات التاريخ العبراني انفتاحاً على الثقافات الأخرى. فقد تميز عصر الملك سليمان بالقوة السياسية والإحساس القومي، كما تميز بالتبادل الثقافي الذي كانت مدينة أورشليم مركزاً له (راجع سفر الملوك الأول 34:4 و10:1). كان عصر تبادل أفكار، ورؤية واسعة، وروح عالمية. وكان أيضاً الزمن الذي بُني فيه الهيكل، وكان بُناة هذا الهيكل من المعماريين الفينيقيين[1]. من هنا يمكن أن نقول، وقولنا هنا ليس في حكم المؤكد، أن المزمور 104 قد وُضع للمرة الأولى باعتباره ترتيلة تكريسية للمعبد الجديد. وكما كان هيكل أورشليم مشابهاً من الناحية المعمارية لمعابد الشرق القديم الأخرى، كذلك جاء المزمور 104 يحمل تشابهات مع بقية تراتيل الشرق القديم.

على أن المزمور يطرح توكيدات لاهوتية راديكالية مهمة لفهم المعنى

---

(1) تدل كل الشواهد الأركيولوجية اليوم على أن أورشليم لم تكن مسكونة خلال القرن العاشر، أي خلال الفترة المفترضة لحكم داود وسليمان، أو أنها كانت في أفضل التقديرات قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها الألفي نسمة. من هنا فقد كان مستحيلاً عليها بناء هيكل مثل ذلك الهيكل الموصوف في سفر الملوك الأول. حول هذا الموضوع راجع دراسة الباحث فراس السواح المنشور بالإنكليزية في كتاب من تحرير توماس. ل. تومبسون:

Thomas. L. Thompson, edt, Jerusalem in History and Tradition, T& T Clark International، London-England, 2003.

وكذلك كتابه «تاريخ أورشليم»، دار علاء الدين، دمشق 2001. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

الكامن وراء الهيكل في أورشليم. فبمعنى ما كان المعبد بيتاً للرب، وبمعنى آخر كان يرمز إلى الحضور الإلهي بين الشعب. ولكن الإله في اللاهوت العبري لا يحده مكان أو يحيط به زمان، ومن الخطأ التفكير بالمعبد باعتباره بيتاً للرب بالمعنى الحرفي للكلمة. من هنا جاءت لغة المزمور لتشير إلى الطبيعة السامية والمفارقة وغير المحدودة للرب. إن الطبيعة تدين بوجودها وديمومتها للقوة الإلهية الخلاقة:

ما أعظم أعمالك يا رب
كلها بحكمة صُنعت
ملآنة الأرض من غناك
(المزمور 104:24)

5. الخلفية الموسيقية للمزامير:

إن سفر المزامير هو كتاب التراتيل في العهد القديم، وهو يحتوي على مادة متنوعة من صلوات وأناشيد طقسية وما إليها ومعظمها عبارة عن تراتيل كانت تُنشد في سياق العبادة.

ولكننا مع معرفتنا لكلمات هذه التراتيل، إلا أننا جاهلون بالألحان الموسيقية الموضوعة لها وبطريقة غنائها. إننا نعرف شيئاً ما عن تلك الموسيقى من الناحية النظرية، وذلك من خلال الإشارات العديدة في النص الكتابي إلى الآلات الموسيقية المستخدمة وجوقات المغنين، ولكن المعلومات النظرية لا تغني عن سماع الصوت الفعلي للموسيقى. وحتى وقت قريب كان يبدو أن موسيقى هذه التراتيل قد ضاعت إلى الأبد.

هنالك حد للمدى الذي نستطيع متابعته في تقصي الطريقة التي كانت تُغنى بها تلك المزامير. هنالك بعض الرموز والإشارات في النص

مكتبة الفكر الجديد

الماسوري[1] للعهد القديم يزودنا بمفاتيح للدلالة على الأداء الموسيقي. إلا أن هذه المفاتيح تدل على الأداء الموسيقي والغنائي خلال فترة الكتبة الماسوريين، أي خلال القرون الميلادية الأولى، ولكنها لا تقدم لنا أية دلالة موثوقة بخصوص الفترة الأسبق، فترة التدوين الأصلية وما وراءها. لدينا بعض الدلالات المفيدة المستمدة من مقدمات العديد من المزامير التي يبدو أنها تحتوي على رموز موسيقية. من ذلك مثلاً مقدمة المزمور السادس التي تقول: «لإمام المغنين، على ذوات الأوتار، على القرار، مزمور لداود»، ومقدمة المزمور 22 التي تقول: «لإمام المغنين، على إيلة الصبح، مزمور لداود»، فلربما كانت جملة «إيلة الصبح» اسماً لنغم موسيقي. وهنالك العديد من مثل هذه المعلومات في عناوين المزامير ذات علاقة بموسيقاها، ولكننا نبقى مع ذلك على جهل بطبيعة الموسيقى التي كانت ترافق غناء هذه المزامير. إن أقدم الشواهد على الأصوات الموسيقية لا يأتينا من ثقافات الشرق القديمة وإنما من العالم الكلاسيكي للقرون الأولى الميلادية.

ومرة أخرى تأتي الشواهد التي اكتشفت في أوغاريت لتغير الصورة بشكل جذري، وتزودنا بمنظور جديد بخصوص التاريخ المبكر للموسيقى. فخلال أعمال الحملة التنقيبية الخامسة عشر في عام 1951، والتي ركزت اهتمامها على القصر الملكي الأوغاريتي، تم العثور على عدد جديد من الرُّقُم بينها رقيمان مكسوران تم إعطاؤهما الرقمين 15.30 و15.49. بعد موسمين تنقيبيين، وخلال الفترة الواقعة بين شهري أوكتوبر وديسمبر من عام 1953، تم العثور في منطقة القصر الملكي على قطعة من رقيم في حالة سيئة جداً، أُعطيت الرقم 17.387. بعد بضعة أعوام تعرَّف

(1) النص الماسوري هو النص القانوني للتوراة العبرانية الذي اعتمده مجمع الربَّانيين في بلدة يمنيا الفلسطينية نحو عام 90 للميلاد. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

الباحث الفرنسي إيمانيويل لاروش على هذه القطع الثلاث باعتبارها أجزاء من رقيم واحد مكسور، واستطاع جمعها إلى بعضها في حالة توافق كامل. كان شكل هذا الرقيم، بعد ضم أجزائه إلى بعضها، مستطيلاً طوله سبعة إنشات ونصف وعرضه ثلاثة إنشات. وقد قام لاروش بنشر النص في النشرة الرسمية الخاصة بالبعثة التنقيبية الفرنسية «أوغاريتيكا» عام 1968.

بعد أن تم جمع أجزاء هذا الرقيم إلى بعضها بعضاً غدا في حالة تسمح بفحصه ودراسته من قبل الباحثين المختلفين. كان رقيماً غير اعتيادي، فهو يبتدئ بأربعة سطور على الوجه الأول تلتف لتحيط بالرقيم من الوجه الثاني. على الوجه الأول وتحت السطور الأربعة هنالك خطان أفقيان فاصلان تحتهما سبعة أسطر مؤلفة من رموز وإشارات لا من كلمات. وقد تبين للباحثين بعد دراسة هذا النص أن السطور الأربعة العلوية تحتوي على ترتيلة دينية قديمة باللغة الحورية، أما السطور السبعة الواقعة تحت الخطين الفاصلين فعبارة عن إشارات موسيقية من نوع ما توجه العازفين إلى طريقة أداء اللحن. أما الأداة الموسيقية المختارة فهي القيثارة. وهكذا فإن هذا الرقيم الذي أعيد تجميعه يحتوي على أول تدوين موسيقي في التاريخ، وهو أقدم من فيثاغورث الذي يعزى إليه ابتكار التدوين الموسيقي بحوالي ألف عام. ومع ذلك فإن هذه الموسيقى المدونة لم تُسمع بعد.

وقد تصدى ثلاثة باحثين أميريكيين لحل اللغز وهم: آن. د. كليمر وهي باحثة في الآشوريات، وريتشارد. ل. كروكر وهو باحث موسيقي، وروبرت. ر. براون وهو فيزيائي. قبل كل شيء كان على هؤلاء أن يضعوا قاعدة نظرية لفهم طبيعة العبارات والرموز الموسيقية القديمة، والتي من شأنها إتاحة المجال لتفسير المقطوعة الموسيقية الموافقة للترتيلة الحورية. وقد تم لهم ذلك من خلال دراسة بعض النصوص البابلية ذات الصلة بالموسيقى، والتي تقدم شروحات نظرية بخصوص الأشكال

مكتبة الفكر الجديد

الموسيقية في بابل القديمة، وتصف أيضاً كيفية دوزنة أوتار القيثارة. بعد ذلك جرى تصنيع قيثارتين وفق النماذج القديمة، وذلك باللجوء إلى المادة الآثارية والمادة الكتابية. وقد صنعت القيثارة الأولى وفق قيثارة سومرية عثر عليها في المقابر الملكية لمدينة أور خلال تنقيبات السير ليونارد وولي عام 1927، وصنعت القيثارة الثانية وفق قيثارة محفورة على قطعة عاجية عُثر عليها في موقع مدينة مجدو بفلسطين الشمالية، وهو موقع قريب جغرافياً وحضارياً من أوغاريت. بعد ذلك تمت دوزنة الآلتين الموسيقيتين وفق المبادئ المشروحة في النصوص البابلية. مزودين بهذه العدة استطاع هؤلاء الباحثين حل رموز الشيفرة الموسيقية، وجرى غناء اللحن على أنغام القيثارة، فسمع العالم الأنشودة الدينية الأوغاريتية مسجلة على شريط ستيريو تحت عنوان "أصوات من الصمت". فكان الاستماع إليها أشبه بالاستماع إلى أصوات مسكونة بالأشباح تأتي من الماضي البعيد.

هنالك رابطة منطقية بين إعادة اكتشاف الموسيقى الأوغاريتية القديمة وبين الكيفية التي يساعدنا بها هذا الاكتشاف على عبور الفجوة بين عالمنا الحديث والعالم الموسيقي للمزامير. إننا غير متأكدين من أن التسجيل الذي قدمه لنا الباحثون الثلاثة يعكس فعلاً القطعة الموسيقية الأوغاريتية. وحتى إذا كان يعكسها فعلاً، فإننا لا نعرف مدى مطابقة هذه الموسيقى الأوغاريتية لموسيقى المزامير. ومع ذلك فإن الشبه موجود. فقد كان الحوريون منتشرين في شتى أنحاء الشرق القديم، وكانوا بالتأكيد معروفين من قبل العبرانيين. وفيما يتعلق بالمسائل الدينية هنالك شبه بين دين الحوريين ودين العبرانيين (على ما سنشرحه أدناه). من هنا، فإن الاستماع إلى تسجيل حديث لترتيلة حورية قديمة من شأنه أن يدخلنا جزئياً إلى العالم الموسيقي لتراتيل العهد القديم.

مكتبة الفكر الجديد

6. الحوريون والعبرانيون وإله العهد:

تتخذ فكرة «العهد» مكان المركز في لاهوت العهد القديم، فلقد تأسست ديانة العهد القديم من خلال عهد أبرم بين الإله وشعبه على جبل سيناء في أيام موسى. أما قبل ذلك، فقد كان العبرانيون عبيداً في مصر ويربطهم مع سادتهم المصريين عهد أيضاً أو عقد، وهو باللغة المصرية «بريت- bryt». ثم جاء الخروج من مصر ليحررهم من عهد العبودية لفرعون، ويربطهم بعهد آخر مع الرب يترتب عليهم بموجبه الطاعة الكاملة له، ويدعى بالعبرية «بيريت- berit». إن مركزية هذه الفكرة عبر أسفار الكتاب المقدس تعبر عن نفسها من خلال الإشارة إلى الكتاب كله على أنه «العهد القديم».

وربما كانت مركزية هذه الفكرة في اللاهوت العبراني وراء قول عدد من الباحثين بأن مفهوم العهد هو واحد من الخصائص الفريدة المميزة لدين العبرانيين، فلقد بدا في حكم المؤكد عدم وجود ديانة من ديانات الشرق القديم تربط إلهها أو آلهتها بشكل وثيق بفكرة العهد. ولكن هنالك على الدوام مخاطر من إدعاء التفرد، وغالباً ما تظهر بعض الشواهد لتقوض مثل هذا الإدعاء. وفي حالتنا هذه جاء الشواهد من أوغاريت.

خلال الحملة التنقيبية الرابعة والعشرين التي جرت خلال خريف عام 1961، تم العثور على عدد جديد من النصوص في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من منطقة الأكروبوليس. وقد لفت واحد من هذه النصوص الأنظار بسبب احتوائه على تعبير يعيد إلى الأذهان مفهوم العهد عند العبرانيين. النص مكتوب باللغة الحورية وهو عبارة عن ترتيلة طقسية مرفوعة إلى عدد من الأرباب الحورية. وفي السطر الرابع عشر من هذا النص هنالك تعبير يبدو غريباً على اللغة الحورية وهو «إل ب ر ت. إل

مكتبة الفكر الجديد

دن»، الذي تبدو كلماته مستعارة من السامية الأوغاريتية ومستخدمة في سياق النص الحوري. علماً بأن ورود مثل هذه الاستعارة أمر غير مستغرب من حيث المبدأ، لأن الحوريين في أوغاريت كانوا متعددي اللغات يتكلمون الحورية والأوغاريتية، وربما غيرهما. لم تطرح ترجمة الشطر الثاني من التعبير «إل د ن» أي إشكالية، فهي تعني بدون شك «إيل الدَّيان». أما بخصوص الشطر الأول إل ب رت» فقد ترجمه إيمانيويل لاروش على أنه «إيل الينابيع»، وهي ترجمة محتملة على الرغم من أن كلمة ينابيع في الأوغاريتية هي «ب ء ر ت» لا «ب ر ت». وهذا ما دفع إلى الشك في ترجمة لاروش. ثم قادت الدراسة المدققة فيما بعد إلى التوكيد على أن ذلك التعبير في الترتيلة الحورية ينبغي أن يترجم على الوجه التالي «إيل الديَّان، إيل العهد».

عندما يوضع هذا التعبير الوارد في الترتيلة الحورية في سياق أوسع، فإنه يتخذ أهمية خاصة. فخارج منطقة الشرق القديم هنالك ديانة واحدة تركز على ربط إلهها بالعهد هي الديانة الهندية في طورها الفيدي الأقدم، على ما تبينه لنا نصوص الرج فيدا المقدسة. ففي إحدى التراتيل الفيدية يُعلى من شأن الإله ميثرا باعتباره تجسيداً مؤلهاً للعهد؛ وفي العديد من التراتيل الأخرى يُعلى من شأن الإلهين ميثرا وفارونا باعتبارهما إلهين ديّانين. قد تبدو الديانة الفيدية في الهند بعيدة مكانياً عن ديانة أوغاريت وديانة العبرانيين على حد سواء، ولكن المسافة بينهما في الواقع ليست على هذه الدرجة من البعد؛ فهنالك تداخل بين ديانة الحثيين والحوريين مع جهة والديانة الفيدية من جهة أخرى، وكلتاهما نشأتا في ماضٍ أبعد عن تحركات الشعوب الهندو أوروبية وشعوب مجاورة لها من الغرب باتجاه الشرق، حيث استقر بعضها في الأناضول وتابع بعضها الآخر مسيرته باتجاه الهند. إن التقاليد المشتركة لهذه الشعوب يمكن ملاحظتها

في أسماء الآلهة. فالإله ميثرا كان يُعبد في الأناضول وكذلك في الهند، وفارونا الهندي كان معروفاً لدى الحثيين تحت اسم «أوروانا»، كما عبد الحوريون هذين الإلهين أيضاً.

قد تكون الإشارة إلى «إيل الديَّان، إيل العهد» في الترتيلة الحورية، نوعاً من التوفيقية الدينية التي كانت جارية في ذلك الوقت، حيث تمت المطابقة بين الإله الأعلى ميثرا والإله الأعلى إيل، وجرى صياغة تعبيرٍ حدث أن اتفق مع ديانة العبرانيين. ومما لا شك فيه أن هذا النوع من التوفيقية قد انتشر خارج حدود مملكة أوغاريت.

في هذا المثال الذي بسطناه تُلقي المفاهيم الدينية الأوغاريتية الضوء على الوسط الفكري الذي تطور فيه الدين العبراني، وتُظهر أن العبرانيين لم يكونوا منفردين في ربط إلههم بفكرة «العهد». ومع ذلك فلربما يكمن تفردهم في أن اعتقادهم بإله العهد ليس اعتقاداً تجريدياً بحتاً، وإنما نشأ عن حادثة الخروج وما جرى في سيناء مما قدم المادة الجوهرية لمفهوم العهد. إن الإله الذي خلص العبرانيين من العبودية في مصر بكسره لعهدهم مع المصريين قد دخل في عهد شخصي معهم.

7. «السفن» في سفر القضاة 5،17

في النص العبري الأصلي للعهد القديم كانت الكلمات تكتب بالحروف الساكنة، لأن الأبجدية العبرية القديمة لم تكن تحتوي على الحروف الصوتية. وكان غياب التصويت لا يطرح أية صعوبة أو إشكالية على مستخدمي النص، لأن معرفتهم باللغة الحية كانت تمكنهم من معرفة هجاء ولفظ الكلمات المكتوبة ومعناها. ولكن من مشكلات هذه الطريقة في الكتابة وجود كلمات متشابهة في طريقة كتابتها ولكنها مختلفة في

مكتبة الفكر الجديد

معانيها وطريقة لفظها. إن معنى مثل هذه الكلمات المتشابهة كتابةً يمكن معرفته من سياق النص في حال معرفتنا بها جميعاً، ولكن المشكلة في قراءة العهد القديم وجود الكثير من الكلمات في العبرية القديمة لا يمكن التعرف عليها باعتبارها كلمات متشابهة لأن واحداً من معانيها قد يكون شائعاً أما المعنى الآخر فقد فُقد بمرور الزمن ولم يعد متداولاً.

مثل هذه الظاهرة يمكن التعرف عليها في سفر القضاة 17:5. وهذه الفقرة هي جزء من أنشودة دبورة التي يعتبرها معظم الباحثين في العهد القديم من أقدم النصوص التي وصلتنا باللغة العبرية، وهي تحتوي على العديد من الغوامض نتيجةً لذلك. (راجع سفر القضاة 1:5-31). والآية 17 من الأنشودة تترجم عادةً على الوجه التالي:

سبط جلعاد في عبر الأردن سكن
وسبط دان لماذا استوطن لدى السفن
وسبط أشير أقام على ساحل البحر، وفي فُرَضِه سكن

إن الجزء الأعظم من هذه الأنشودة عبارة عن سلسلة من اللعنات التي تُستنزل على القبائل العبرية التي لم تهب لمساعدة القاضية دبورة في حربها ضد الكنعانيين. ولكن السطر الثاني من الآية 17 يجعلنا في حيرة، فللوهلة الأولى يبدو السطر مترابطاً ولا مشكلة فيه، ولكن ما الذي يعنيه قول النص إن سبط دان استوطن لدى السفن، ونحن نعلم أن هذه القبيلة لم تسكن على شاطئ البحر، ولم تمارس أي نشاط بحري على ما يشير إليه هذا السطر؟ مبعث حيرتنا يكمن في أن النشاط المعزو لدان هنا لا يتناسب مع ما هو معروف عنهم في بقية أسفار الكتاب. والمشكلة تكمن في كلمة «سفن» التي تُكتب بالعبرية الساكنة «أ ن ي و ت».

هنالك حل لهذه المشكلة يتمثل في أن كلمة «أ ن ي و ت» هي كلمة

مكتبة الفكر الجديد

متشابهة في اللفظ ومختلفة في المعنى مع كلمة أخرى. فإذا كانت هذه هي الحال فعلاً فإننا لا نعرف المعنى الآخر لها من أسفار العهد القديم. ومرة أخرى تأتي نصوص أوغاريت لتقترح حلاً. فقد وردت كلمة «أن» وشكلها الآخر «أ ن ي» في ثلاثة نصوص أوغاريتية، وهذا التكرار من شأنه أن يجعلنا على ثقة من معناها، فالكلمة تعني يسترخي أو يستريح. ولكن ما هو ملفت للانتباه هو ورودها في أحد هذه النصوص في ارتباط مع كلمة أخرى هي «ج ر» وتعني يمكث. وهذه واقعة حيوية بالنسبة لموضوعنا، لأن «ج ر» هي المعادل الأوغاريتي للفعل العبري « ج و ر» المستخدم في سفر القضاة 17:5، حيث وردت «ج و ر» أي مكث قبل الفعل الغامض «أ ن ي و ت»، بينما وردت في النص الأوغاريتي قبل كلمة «أن» التي تعني استرخى أو استراح.

على ضوء هذه البيّنة الأوغاريتية هنالك ترجمة محتملة للفقرة العبرية إياها وهي:

جلعاد في عبر الأردن سكن
ودان لماذا مكث مستريحاً
وأشير أقام على ساحل البحر، وفي فُرَضه سكن

إذا كانت هذه الترجمة للفقرة صحيحة، وهو ما يبدو شديد الاحتمال، فإننا أمام مثال عما يمكن لمعارفنا الجديدة أن تفيدنا في ترجمةٍ أفضل لنص قديم. لقد واجه المترجمون الأوائل مشكلة تتعلق بكيفية ترجمة كلمة «أ ن ي و ت». فقد بدت الكلمة لهم على أنها سفن، لاسيما وأن ورود كلمة بحر في السطر التالي قد أعطى مصداقية لهذا الفهم. أما في الواقع، فإن «أ ن ي و ت» هي كلمة قديمة جداً، وكانت من الكلمات المتشابهة إبان استخدامها، وبمرور الوقت وتطور اللغة وتبدلها، فإن المعنى الثاني للكلمة قد زال من الاستخدام ونُسي تدريجياً. ثم جاء اكتشاف أوغاريت

مكتبة الفكر الجديد

ولغتها ليساعدنا على إعادة اكتشاف المعنى الضائع، وترجمة هذه الفقرة من سفر القضاة بطريقة أقرب إلى الصحة. إنه تعديل طفيف ولا شك، ولا يؤثر كثيراً في معنى نص العهد القديم، ولكن عندما تتضاعف أمثال هذه التعديلات بضع مئات من المرات، يستطيع المرء أن يتصور الأثر البعيد لمعرفتنا بالأوغاريتية في ترجمة العبرية القديمة.

8. أوغاريت واليونان:

ليست نصوص أوغاريت مهمة لدراسة نصوص العهد القديم فقط، وإنما لدراسة الخلفية الثقافية للإغريق الأوائل وأفكارهم وأساطيرهم. فلقد تبين لنا تدريجياً أن عبقرية الحضارة الإغريقية المبكرة لا تكمن في إبداعها بقدر ما تكمن في مقدرتها على الاستعارة الثقافية وتكييف الاستعارات لتتلاءم مع خصوصيتها. يبدو لنا هذا واضحاً في عدد من المجالات ومنها مجال الأسطورة الإغريقية التي نلمح فيها بوضوح استعارات مبكرة من ميثولوجيا الشرق الأدنى القديم. وقد انتقلت الميثولوجيا المشرقية إلى الإغريق عبر عدة قنوات رئيسية كانت أوغاريت واحدةً منها. إن وضع أوغاريت البحري على الطرف الشرقي لمنطقة الشرق الأدنى القديم، ونشاطها التجاري البحري الواسع، قد جعل منها منفذاً لعبور الثقافة المشرقية إلى عالم البحر المتوسط.

هذا الفهم الجديد لخلفية الثقافة الإغريقية، يدعونا إلى ضرورة إعادة النظر في بعض الفرضيات القديمة بخصوص أثر الإغريق في أدب الكتاب المقدس، ومنها ما قيل عن علاقة ما ورد في سفر إشعيا 14: 12-14 بأسطورة إغريقية معينة. ففي هذا المقطع من السفر يوجه الشاعر العبري توبيخاً ساخراً إلى الملك البابلي الذي قادته قوته العسكرية وصلفه إلى

مكتبة الفكر الجديد

خطيئة التجديف: «كيف سقطْتِ من السماء أيتها الزهرة بنت الصبح؟ كيف قُطعتَ إلى الأرض أيها القاهر الأمم؟ قد قلتَ في قلبك إني أصعد إلى السماء، أرفع عرشي فوق كواكب الله... وأصير شبيهاً بالعلي. بل إنما تهبط إلى الجحيم إلى أقاصي الجب»[1]. لقد دعا الشاعر العبري في هذه القصيدة الساخرة الملك البابلي «هِليل»، وهذه الكلمة تعني اللامع والمتألق. وهذا ما دعى بعض الباحثين إلى عقد صلة بين هذه القصيدة وأسطورة فايثون الإغريقية. فقد كان فايثون الابن اللامع لهيليوس إله الشمس الذي يقود عربتها الملتهبة كل يوم عبر السماء. وقد حاول هذا الابن في إحدى المرات أن يقود عربة أبيه الذهبية بنفسه، ولكنه عجز عن لجم القوة الهائلة لجيادها المنطلقة. لقد بدت هذه المقارنة معقولة؛ فالملك البابلي حاول، مثلما حاول فايثون، إدعاء قوى تفوقه بكثير، وقاده عجزه في النهاية إلى مصيره المشؤوم.

هنالك عدة مشكلات تعترض هذا التفسير الذي يقول بأسبقية هذه الأسطورة الإغريقية وتأثيرها في النص العبري، ليس أقلها مشكلة السياق الزمني لكل منهما (كرونولوجي). إننا لانستطيع أن نؤرخ بدقة للإصحاح 14 من سفر إشعيا، ولكن الرأي الغالب بين الباحثين يقول بأسبقيته الزمنية على أسطورة فايثون. ومن الناحية الكرونولوجية يمكن القول بأن النص العبري هو الذي أثر في النص الإغريقي وليس العكس. من هنا فقد التفت عدد من الباحثين إلى النصوص الأوغاريتية للبحث عن سوابق للنص العبري. فلقد بدا من المحتمل جداً أن مؤلف الإصحاح 14 من سفر إشعيا قد استخدم قصة قديمة معروفة للهزء من قوة وطموح الملك البابلي.

---

(1) لم يورد المؤلف هذا المقطع من سفر إشعيا. وقد ارتأينا إيراده نقلًا عن الترجمة الكاثوليكية للكتاب، والتي استخدمت كلمة الزُهرة (كوكب فينوس) في مقابل الكلمة العبرية (هليل) والتي تعني اللامع والمتألق. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

وقد أمكن لهؤلاء الباحثين العثور على خلفية أوغاريتية للنص العبري في أحد نصوص بعل. فبعد موت الإله بعل وهبوطه إلى العالم الأسفل تُقَدِّم الإلهة عشيرة زوجة كبير الآلهة إيل أحد أولادها ليجلس على عرش بعل ويحكم بدلاً عنه، واسمه أثتر، نقرأ في النص السادس من سلسلة بعل:

عند ذاك، أثتر القوي
صعد إلى أعالي جبل صفون
ليجلس على عرش الظافر بعل
غير أن قدميه لم تصلا مسند القدمين
ورأسه لم يلامس السقف
فنزل أثتر القوي
نزل عن عرش الظافر بعل[1]

وبما أن أثتر هذا يلقب في نصوص بعل باللامع، فقد عقد هؤلاء الباحثون صلة بين هذا اللقب وبين كلمة «هليل» الواردة في النص العبري والتي تعني اللامع أيضاً أو الملتمع. ثم عززوا هذه المقارنة بصفة «الإله المحارب» التي تطلقها النصوص الأوغاريتية أيضاً على أثتر، والتي من شأنها المماثلة أكثر بينه وبين الملك البابلي المغتر بقوته الحربية. إن جوهر المقارنة يكمن في قصور أثتر عن تأدية المهمة التي تصدى لها. فلقد حاول أن يملأ مكان الإله بعل خلاله غيابه ولكنه كان صغيراً على الكرسي وقدماه لم تصلا حتى إلى مسند القدمين، وفي ذلك إشارة إلى عدم كفاءته على تقمص دور بعل. كما أن جوهر خلفية كلا النصين هو عدم الكفاءة، فكما لم يستطع هذه الإله أن يملأ مكان بعل، كذلك هو الملك البابلي الذي لم يستطع ممارسة القوى الإلهية التي ادعاها لنفسه. ونحن إذا افترضنا بأن

(1) هذا المقتبس من أسطورة البعل هو إضافة من المترجم.

مكتبة الفكر الجديد

قصة أثتر هذه كانت معروفة لمستمعي سفر إشعيا فإن السخرية من العاهل البابلي تبدو واضحة كل الوضوح.

إن مثل هذا التدريب في المقارنة يبدو مفيداً من جهات عدة. فهو يوضح الطريقة التي أمكن بها للشاعر العبري أن يفيد من مصادره في طرح وجهة نظر معينة أمام سامعيه. وفقط عندما نعرف أنهم يعرفون (وفي هذه الحالة قصة أثتر) نكون في موقع يؤهل لتقييم قوة اللغة التي يستخدمها النص العبري. وأكثر من ذلك، فإن مثل هذه المقارنة تبين أن أجزاءً من النص الكتابي والميثولوجيا الإغريقية تتشارك الميراث نفسه وتنهل من ثقافة وأدب الشرق الأدنى القديم كما تعبر عنها النصوص الأوغاريتية. إن قصة أثتر لا تكمن فقط وراء سخرية إشعيا، وإنما تكمن أيضاً وراء أسطورة فايثون الأغريقية.

9. بعل والخروج:

كان الخروج من مصر واحداً من الأحداث المؤسسة في دين العبرانيين. فلقد كان وراء تحريرهم من العبودية المصرية، وهو التحرير الذي مهَّد لعلاقة العهد بينهم وبين إلههم. وقد عبرت «أنشودة البحر» أبلغ تعبير عن انتصار الرب على فرعون عند البحر وذلك في سفر الخروج 15:1–18 حيث نقرأ: «أرنّم للرب فإنه قد تعظم. الفَرَسُ وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي، وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجده، إله أبي فأرفعه. الرب رجل الحرب، الرب اسمه. مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر، فغرق أفضل جنوده تغطيهم اللجج. قد هبطوا إلى الأعماق كحجر. يمينك يا رب معتزة بالقدرة، يمينك يا رب تحطم العدو، وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك. ترسل سخطك فيأكلهم كالقش، وبريح

مكتبة الفكر الجديد

أنفك تراكمت المياه، انتصبت المجاري كرابية، تجمدت اللجج في قلب البحر...» وإلى هذا اليوم ما زالت هذه الأنشودة تستخدم في العبادة، الأمر الذي يعكس مركزية فكرتها الرئيسية، وهي إن الرب يتحكم بقوى الطبيعة والقوى المحركة للتاريخ في آنٍ معاً.

لدى قراءة هذه الأنشودة يحس المرء بذلك الفرح والابتهاج الذي عبّر عنه أولئك الذين استخدموا كلماتها للمرة الأولى في العبادة. ولكن ما لا يتبينه قارئ اليوم هو الطريقة الحاذقة التي استعار بها الشاعر العبري من الميثولوجيا الكنعانية معطياً بذلك القوة والزخم لأفكاره، فتحت كلمات وبنية هذه الأنشودة هنالك عناصر مركزية من أسطورة بعل. وعندما يفهم المرء الأسلوب الذي جرى من خلاله تحويل هذه العناصر لتتلاءم وغرض الشاعر، يستطيع أن يتصور الأهمية البالغة التي يسبغها هذا الشاعر على حادثة الخروج من مصر.

لقد استخدم الشاعر بعضاً من أهم العناصر المركزية في أسطورة بعل والتي يمكن تلخيصها تحت العناوين الرئيسية التالية: الصراع، والتنظيم، والملوكية، وبناء بيت لبعل. فإذا نظرنا إلى نصوص سلسلة بعل ككل (راجع الفصل الرابع) نجد أن القصة تبدأ بصراع بين الإله بعل والإله يم (أي البحر). في هذا الصراع يمثل بعل نظام الكون والطبيعة، الذي تهدده قوى الفوضى والشَواش ممثلة بالإله يم. ثم يأتي انتصار بعل على يم كخطوة أولى في عملية الخلق. فلقد تم إقرار النظام وأُخضعت قوى الفوضى. كما كان هذا الانتصار أيضاً بداية لاستلام بعل كرسي حكمه. وكرمز للنظام الجديد، فإن بعل يبدأ ببناء بيت له ثم يجلس فيه على عرشه ويُسمِع صوته الراعد أهل السماء والأرض. بعد ذلك يندلع الصراع مجدداً ولكن هذه المرة مع الإله موت، أي المنيَّة، والذي تكون نتيجته انتصار بعل بعد أن ذاق الموت وهبط إلى العالم الأسفل، ثم عاد إلى كرسي سلطانه،

وإلى التحكم في العالم المنظم. ومن المهم أن نلاحظ هنا ليس فقط مركزية هذه الأفكار في أسطورة بعل، وإنما مركزيتها أيضاً في رسم إطار كوزمولوجي[1] لتفسير أسطورة بعل. هذه الكوزمولوجيا تشرح أصول النظام واستقراره الدائم في العالم، كما فهمه وآمن به الكنعانيون. إنها تحتفل بالخلق.

في أنشودة البحر عمل الشاعر العبري على تطوير العناصر نفسها من خلال بنية أنشودته. فهي تبدأ بالصراع بين إله العهد القديم وفرعون (الخروج 15:1-12). والشاعر هنا يستخدم العناصر نفسها ويحولها بطريقة حاذقة. فالبحر لم يعد عدواً للنظام، وإنما يستخدمه الرب كأداة لقهر الفوضى، وهو يعلن ملوكيته في خطاب يعبر عن تفرده: «من مثلك بين الآلهة يا رب. من مثلك معتزاً في القداسة، مخوفاً بالتسابيح» (15-11). بعد ذلك تعود فكرة الصراع لتظهر من جديد مع توقع ظهور أعداء جدد: «يسمع الشعوب فيرتعدون... يذوب جميع سكان كنعان، تقع عليهم الهيبة والرعب» (15:14-16). وهؤلاء الأعداء سوف يُقهرون، ويتأسس بيت للرب، وعرش له يعبر عن النظام الذي حققه انتصاره: «تجيء بهم (أي بشعبك) وتغرسهم في جبل ميراثك، المكان الذي صنعْتَهُ يا رب لسكنك، المقْدِس الذي هيأتْه يداك يا رب» (15:17). وأخيراً يتم إعلان ملوكية الرب كنتيجة لانتصاره: «الرب يملك إلى الدهر والأبد» (15:18). وهنا فإن العبارة التي يستخدمها الشاعر: «ي هـ و هـ. ي م ل ك»، تتطابق مع العبارة التي استخدمها الشاعر الأوغاريتي في نصوص بعل: «ب ع ل. ي م ل ك».

إن متابعة عناصر أسطورة بعل في أنشودة البحر شيء، وفهم مغزى

(1) الكوزمولوجيا هي نظريات أصول الكون.

مكتبة الفكر الجديد

هذه العناصر ودلالتها شيء آخر. يكمن المغزى الرئيسي في المعنى الكوزمولوجي للعناصر المستعارة، فقد أخذ الشاعر العبري اللغة الرمزية للتكوين وجعلها تعبّر عن فهمه لمعنى الخروج. فعلى المستوى الأول لفهم حادثة الخروج، فإن هذه الحادثة هي ببساطة الهروب من العبودية للمصريين؛ أما على المستوى الثاني فإنها تؤشر لعمل خلق مقدس جديد. فكما أعلن الإصحاح الأول من سفر التكوين عن خلق العالم، فإن الإصحاح 15 من سفر الخروج يعلن عن خلق شعب جديد. وعندما يدرك المرء المغزى وراء هذه اللغة الشعرية المستخدمة في أنشودة البحر، يستطيع عندها تكوين فهم أفضل لموضوع آخر في النص الكتابي، ألا وهو السبب الكامن وراء الحفاظ على السبت. ولدينا في الواقع نصان في العهد القديم يحتويان على الوصايا العشر، وكل منهما يقدم سبباً مختلفاً للحفاظ على السبت. ففي سفر الخروج 11:20 يحافظ العبرانيون على السبت بداعي أن الرب قد خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع: «لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه». أما في سفر التثنية 15:5 فإن الحفاظ على السبت هو احتفال بذكرى الخروج من مصر: «واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت». للوهلة الأولى يبدو هذان السببان في الحفاظ على السبت مختلفين تماماً، إلا أن الفهم الجديد لأنشودة البحر في خلفيتها الكنعانية يُظهر مدى قرب السببين من بعضهما بعضاً. فالحفاظ على السبت يأتي أولاً احتفالاً بفعل الخلق والتكوين، ويأتي ثانياً إحياءً لذكرى خلق الشعب الجديد بعد حادثة الخروج.

الفصل السادس

اكتشافات جديدة وآفاق مستقبلية
إيبلا ورأس ابن هاني

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر الجديد

خلال الخمسين سنة التي تلت ابتداء التنقيبات في رأس شمرا عام 1929، جرت في الموقع تنقيبات مكثفة. ومع ذلك فإن أقل من نصف المساحة التي تشغلها مدينة أوغاريت قد تم التنقيب فيها والكشف عن بواطنها. وبالرغم من أن التنقيبات قد كشفت، على ما يبدو، عن أهم مناطق المدينة، وتم تحديد أماكن الأرشيفات الرئيسية فيها، إلا أن الكثير ما زال في انتظارنا تحت التراب، وبقي الكثير مما يمكن القيام به من قبل الحملات التنقيبية المقبلة.

ولكن إذا كان الكثير ما زال في انتظارنا تحت التراب في رأس شمرا، فإن تلالاً كثيرة في منطقة اللاذقية والساحل السوري مازالت في انتظارنا أيضاً، ولم يُضرب فيها معول تنقيبٍ واحد حتى الآن، والتربة العذراء لسطوحها سوف تحتفظ بكنوزها للأجيال المقبلة. ولقد قدر الباحث السوري جبرائيل سعادة، وهو اختصاصي معروف بالدراسات الأوغاريتية، عدد التلال الأثرية في مناطق مملكة أوغاريت بنحو ثلاثين تلاً، يخفي معظمها ولا شك أطلال البلدات والقرى التي كانت في الماضي وراء قوة هذه المملكة الصغيرة. مثل هذه البلدات والقرى معروف لدينا بشيءٍ من التفصيل من النصوص الاقتصادية والإدارية التي اكتُشفت في أوغاريت. ولكن دون أن نعرف طبيعتها ومواقعها الدقيقة.

من حين إلى آخر تكشف التنقيبات الجارية في مواقع أخرى من سورية عن علائق بينها وبين ثقافة أوغاريت. ففي شهر أيلول/ سبتمبر من عام

1975 اكتشفت بعثة التنقيب البريطانية العاملة في موقع تل النبي مند قرب مدينة حمص الحالية (قادش القديمة على نهر العاصي) قطعة من إناء فخاري مكسور نُقش عليها عشر علامات مسمارية تشبه، مع اختلافات بسيطة حروف الهجاء المسمارية الأوغاريتية، ولكن كتابتها تمت من اليمين إلى اليسار لا من اليسار إلى اليمين كما هي الطريقة الشائعة في أوغاريت. كما اكتُشفت نماذج قليلة ولكن مهمة من هذه الكتابة في العديد من المواقع السورية والفلسطينية، بينها موقع ساريبتا، وتل سوكاس، وكامد اللوز، وبيت شاميش، وتل تعنك. وهذا يعني أن الخط الأوغاريتي، أو شكلاً من أشكاله، قد استخدم في مناطق سورية متنوعة خارج مملكة أوغاريت وصولاً إلى بيت شاميش وتل تعنك في المنطقة الفلسطينية.

وبالإضافة إلى هذا النوع من الاكتشافات التي تؤكد شيوع الخط الأوغاريتي، هنالك اكتشافات من نوع آخر تدل على روابط أوغاريت مع بقية عالم الشرق الأدنى القديم، ومنها اكتشاف على جانب كبير من الأهمية جرى في منطقة تل أفيق بفلسطين في أواسط عام 1970، عندما كانت بعثة إسرائيلية تنقب عن آثار قلعة مصرية قديمة دمرتها شعوب البحر نحو عام 1200 ق.م. فقد تم العثور بين أنقاض هذه القلعة على رقيم فخاري (9×5سم) يحتوي على رسالة مكتوبة بالأكادية المسمارية موجهة من شخص يعيش في أوغاريت اسمه تاكوخلينا إلى حاكم القلعة المصري الذي يشرف على مصالح مصر في تلك الناحية من فلسطين. تتألف الرسالة من واحد وأربعين سطراً مكتوبة على وجهي الرقيم، وفيها يرجو الكاتب الأوغاريتي من الحاكم المصري أن يحقق بسرقة حمولة قمح تخصه جرت سرقتها على الطريق، ويُلمّح فيها إلى أنه قد أرسل إلى الحاكم مع حامل الرسالة أيضاً ما زنته مئة شيكل من الصوف الأزرق وعشر شيكلات من الصوف الأحمر، هدية له. ولا شك في أن هذه الهدية كانت تهدف

مكتبة الفكر الجديد

إلى تشجيع الحاكم على التحقيق في المسألة وإعادة الشحنة المسروقة. إن اكتشافات من هذا النوع تساعدنا على رسم منظور أوسع لوضع أوغاريت في عالم الشؤون الدولية خلال القرن الثالث عشر.

من منظور نسبي، فإن اكتشافي تل النبي مند وتل أفيق هما اكتشافان صغيران بالمقارنة مع اكتشافين ضخمين حدثا خلال العقود الأخيرة. من شأنهما إلقاء مزيد من الأضواء على تاريخ وحضارة أوغاريت. الاكتشاف الأول هو العثور على أرشيف مدينة إيبلا في موقع تل مرديخ بالشمال السوري، والثاني هو اكتشاف مدينة أوغاريتية صغيرة في رأس ابن هاني الذي يقع على أطراف مدينة اللاذقية.

1. تل مرديخ، اكتشاف إيبلا:

ابتدأت قصة اكتشاف مدينة إيبلا القديمة عام 1963، ولكن الاهتمام العام بإيبلا لم يستثار على نطاق واسع إلا بعد مرور عشر سنوات على هذا التاريخ. في عام 1963 كان عالم الآثار باولو ماتييه يخطط للقيام بحملة تنقيبية واسعة في منطقة سورية الوسطى، وهو في ذلك الوقت في الثالثة والعشرين من عمره، وعضو في مؤسسة دراسات الشرق الأدنى بجامعة روما. على عكس ما نصحه به زملاؤه المتقدمين، فقد قرر ماتييه التنقيب في تل كبير يقع على مسافة ثلاثين ميلاً إلى الجنوب من مدينة حلب، قرب الطريق العام الذي يؤدي إلى دمشق. هنالك الكثير من أمثال هذه التلال الصنعية في سورية، والتي تشكلت عبر السنين فوق ركام أوابد سكنية قديمة، ولكن تل مرديخ يتميز بالضخامة الملفتة للنظر، فهو يرتفع قرابة الخمسين قدماً عن مستوى السهل المحيط به على شكل كعكة مستديرة تحيط بمنخفض تبلغ مساحته نحو 60 هكتاراً. ونظراً لضخامة التل فقد

مكتبة الفكر الجديد

توقع ماتييه اكتشاف مدينة كبيرة تحته، وقدّر أن أطرافه الخارجية التي تشكلت على شكل الكعكة تخفي تحتها أسوار المدينة العالية، أما المنطقة المنخفضة في الوسط فتخفي المنطقة السكنية.

كانت الحملات التنقيبية الأولى ناجحة على الرغم من أنها لم تكشف عما يلفت نظر الجمهور الواسع ووسائل الإعلام. ففي الحملة التنقيبية الأولى كشف ماتييه وفريقه بشكل أولي عن بقايا حضارة ازدهرت نحو عام 2300 ق.م. ومع التقدم في عمليات التنقيب أخذت الشواهد المادية بالتراكم، وساعدت أكثر فأكثر على تكوين فكرة عن شخصية هذه الحضارة القديمة.

لم يحصل شيء يلفت الأنظار فعلاً قبل عام 1974 عندما بدأ المنقبون يعثرون على لقى مثيرة حقاً. فخلال عملية إزالة الركام عن أرضية بناء قديم بدا للوهلة الأولى على أنه قصر، ظهرت للعيان أولى سلسلة الرُّقُم الفخارية المنقوشة التي ستتالى فيما بعد. كان عددها أربعون فقط في ذلك الوقت وتعود بتاريخها إلى العام 2300 ق.م. ولكن الطبيعة غير الاعتيادية لهذه الرُّقُم، لم تتضح إلى أن جرت دراسة النصوص المنقوشة عليها.

أرسلت البعثة الإيطالية في طلب مستشارها في اللغات السامية القديمة جيوفاني بيتيناتو، لفحص الرقم وإبداء الرأي في طبيعة اللغة التي كُتبت بها هذه النصوص. بعد دراسة الرقم في موقع التنقيب، أعلن بيتيناتو في ورقة عمل قدمها إلى مؤتمر للدراسات الآشورية أن بعض هذه النصوص مكتوب بلغة مجهولة حتى الآن وصفها بنوع من الكنعانية المبكرة، مشيراً إلى أنها أقدم شكل معروف من اللغات السامية الغربية، التي نعرفها في أشكالها ولهجاتها اللاحقة كالأوغاريتية والعبرية والموآبية. وبذلك فقد تم دفع تاريخ هذه اللغات، إذا كان بيتيناتو مصيباً في رأيه، ألف سنة إلى الوراء نتيجة لهذا الاكتشاف الذي جرى في عام 1974.

مكتبة الفكر الجديد

على أن قول بيتيناتو بأنه قد اكتشف لغة قديمة هي نوع من الكنعانية المبكرة، وسلفٌ للعبرية، لم يمر دون اعتراضات من الأسرة الأكاديمية. ففي عام 1975 نشأ جدال واسع في الأوساط الأكاديمية تركز حول نقد وجهات نظر بيتيناتو. ومما طُرح في هذا الصدد أن الشواهد التي بنيت عليها الفرضيات هي شواهد محدودة ومبعثرة. وفيما كان الجدال دائراً بين هؤلاء اللغويين، تابعت البعثة تنقيباتها في عام 1975، حيث حققت القسم الأول من سلسلة اكتشافات مهمة، عندما عثرت على الأرشيف الرسمي الملكي لمدينة إيبلا القديمة، واستخرجت من أنقاض القصر الملكي قرابة 15,000 رقيم فخاري معظمها متشظٍ ومكسور وبعضها كبير وفي حالة سليمة نسبياً، إذ أخذنا بعين الاعتبار أنها تعود إلى ماقبل 4,500 سنة من تاريخ إزاحة الأتربة عنها. وفي العام التالي تم استخراج 4,500 رقيم ليغدو المجموع قرابة العشرين ألف رقيم. وهو أضخم أرشيف تم اكتشافه بعد أرشيف مدينة ماري، وأضخم أرشيف من نوعه من الألف الثالث قبل الميلاد.

في أي اكتشاف من هذا النوع تتخذ النصوص أهمية خاصة. ذلك أن استعادة اللقى الأثرية وإزاحة الأتربة عن البنى المعمارية لا يزودنا إلا بالهيكل العظمي لأي حضارة قديمة. ولا يكتسي هذا الهيكل بالعضلات والأوردة والأعصاب إلا مع اكتشاف النصوص التي تعيد بث الحياة في هذا الركام القديم. فالنصوص هي التي تعطينا توصيفاً للناس وأفكارهم ومعتقداتهم وسلوكهم ونشاطهم الاقتصادي ومعارفهم وكيفية تسييرهم لمجتمعهم. ولقد أعطتنا هذه المجموعة الضخمة من نصوص أرشيف إيبلا القديمة تبصراً بحياة تلك الحضارة. فهنالك نصوص أدبية ودينية واقتصادية وإدارية وعسكرية، وحتى قواميس متعددة اللغات.

مكتبة الفكر الجديد

في سياق عمله على هذه المجموعة الهائلة من النصوص، تبين لبيتيناتو أن 80% منها مكتوب باللغة السومرية، وهي لغة معروفة من خلال مكتشفات أخرى في المنطقة المشرقية، و 20% منها مكتوب باللغة الجديدة التي دعاها بالكنعانية المبكرة، وهي تشكل أكثر من ثلاثة آلاف رقيم منقوش بالخط المسماري المعروف له من منطقة سومر وأكاد. ولهذا فإن هذه الكتابة لم تطرح من حيث المبدأ صعوبات بالغة في حلها. ولكن بيتيناتو قد حصل على معونة جلى من قبل النصوص القاموسية التي احتوى أحدها على نحو ألف كلمة مكتوبة باللغة الجديدة في أحد الأعمدة، والتي دعاها بالإيبلائية، يقابلها في العمود الآخر معناها باللغة السومرية. وبذلك فإن الأرشيف لم يقدم لنا فقط شواهد على لغة قديمة بائدة وإنما قدم لنا أيضاً مفاتيح فهمها وترجمتها. وقد تم العثور على 18 نسخة من أحد هذه القواميس، الأمر الذي يجعله معادلاً للكتب الشديدة الرواج في العصر الحديث.

بعد تجميع الشواهد من الموقع (وهذه العملية ما زالت جارية) بدا واضحاً أن مدينة إيبلا كانت عاصمة لإمبراطورية قامت في سورية المركزية وازدهرت خلال الجزء الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد. وقد توزع سكان هذه الدولة بين العاصمة والبلدات والقرى، وبلغ عدد سكان العاصمة وحدها نحو ثلاثة وعشرين ألفاً. ووفق أحد النصوص الإيبلائية فإن نصف هذا العدد كان يعمل لدى البيروقراطية الإمبراطورية! إن معرفتنا الآن بوجود هذه الإمبراطورية الكبيرة والزاهرة تجعل من الضروري إعادة كتابة التاريخ المبكر لحضارة الشرق القديم. فلقد كان الاعتقاد سائداً قبل هذا الاكتشاف بأن المركز الرئيسي للحضارة المبكرة كان في جنوب العراق، وأن المدن الأولى كانت سومرية في طابعها، أما

مكتبة الفكر الجديد

الآن فقد اتضح لنا وجود حضارة مزدهرة في الشمال السوري منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهي حضارة سامية الشخصية واللغة.

فإذا تمعنا في مضامين هذا الاكتشاف وأهميته لفهم حضارة أوغاريت وعالم الكتاب المقدس، لوجدنا أن هذه المسألة ما زالت خلافية ومحوطة بالشك وعدم اليقين. فمع قيام بيتيناتو بدراسة محتويات الرُّقُم الإيبلائية، أخذ يطرح العديد من الادعاءات في تصريحاته ومقالاته، والتي أثارت الاهتمام بأهمية هذا الاكتشاف وصلته بعالم الكتاب المقدس، ومنها الإدعاءات التالية:

أ- يحتوي العديد من النصوص الإيبلائية على أسماء علم سامية الطابع ومألوفة لنا من نصوص العهد القديم، بينها: داود، وأبرام، وعيسو، وشاؤل وبنيامين. وعلى الرغم من أن هذه الأسماء شائعة في اللغات السامية، إلا أن الاسم داود وحده غير موثق خارج الكتاب المقدس قبل نصوص إيبلا.

ب- في قائمة ملوك إيبلا الموجودة على أحد الرُّقُم، هنالك ملك حكم على إيبلا القديمة اسمه «إيبروم». وهذه الاسم يتصل صوتياً ولغوياً بسلف العبرانيين المدعو «عابر» والمشار إليه في سفر التكوين 10:21.

ج- ادعى بيتيناتو عثوره على عدد من أسماء العلم الإيبلائية التي تحتوي في أحد شطريها على الاسم الإلهي «يا» المتصل بالاسم المقدس لإله العبرانيين يهوه، والذي جرى اختصاره في أسماء العلم العبرية إلى «يا» أو «ياو» أو «يهو» على مانراه في أسماء مثل: «ياكنيا، ويوشيّا، ويهوياداع، وغيرها.

د- ادعى بيتيناتو أنه عثر في قراءاته أيضاً على أسماء المدن الخمسة الوارد ذكرها في سفر التكوين 14:8 وهي: سدوم وعمورة وأدمة وصبوئيم وبالع. كما عثر أيضاً على أسماء مدن فلسطينية مثل: مجدو وأورشليم وأشدود.

إن بعض تفاصيل خلفية هذا الموضوع توضح أهمية مثل هذه الإدعاءات التي طرحها بيتيناتو عقب الاكتشاف.

فمن ناحية أولى، من المهم أن نلاحظ أن أبرام (أو إبراهيم كما صار اسمه) قد ارتبط في النص الكتابي بمدينة حران القديمة التي تقع جغرافياً في المنطقة التي شغلتها دولة إيبلا. لقد عاش أبرام بعد عدة قرون من عصر ازدهار إيبلا. ونحن إذا افترضنا أنه شخصية تاريخية فلا بد أن يكون قد عاش نحو عام 1800 ق.م. ولكن اتفاق الأسماء الإيبلائية مع الأسماء الكتابية، والصلة بين عابر الكتابي وإيبروم الإيبلائي من شأنها الإيحاء بأن حضارة إيبلا هي الحضارة التي نشأت عنها الثقافة العبرانية.

ومن ناحية ثانية فإن نوعية الشواهد التي ادعى بيتيناتو العثور عليها كانت ذات أهمية في الجدال الأكاديمي الذي كان دائراً في السبعينيات. ففي تلك الأيام نشر الباحث الكندي جون فان سيتير كتابه المعروف «إبراهيم بين التاريخ والنص الكتابي». وهو عمل أكاديمي بحت يعتمد استقصاءً علمياً معقداً توصل من خلاله إلى تقويض المصداقية التاريخية لقصة إبراهيم في سفر التكوين، معارضاً بذلك الاتجاه الذي كان سائداً بين الباحثين الأميريكيين خلال العقود التي سبقته. ولقد أثار ظهور هذا الكتاب جدلاً ملفتاً للنظر في الحلقات الأكاديمية، خلال سبعينيات القرن العشرين، وفي استقلال عن مكتشفات تل مرديخ، حول تاريخية أو عدم تاريخية شخصية إبراهيم وبقية شخصيات رواية سفر التكوين، فلقد رأى بعض الباحثين، وحتى غيرهم من خارج الحلقات الأكاديمية، في مكتشفات إيبلا وقراءات بيتيناتو المتعجلة، مجموعة جديدة من المعلومات التي يمكن لها أن تسوي هذا الجدال الدائر. وللوهلة الأولى بدا هذا الاكتشاف وكأنه يرجح كفة القائلين بتاريخية سفر التكوين من الإصحاح 12 إلى الإصحاح 50.

مكتبة الفكر الجديد

ولكن المسألة لم تكن على هذه الدرجة من الوضوح. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: مالذي نفعله بمكتشفات تل مرديخ وكيف نفسرها؟ وماهي أهميتها بالنسبة إلى الدراسات الأوغاريتية وإلى العهد القديم؟ إن أي إجابة عن هذه التساؤلات ينبغي أن تبدأ بالتزام الحذر الشديد. ففيما بين عام 1975 وعام 1980، قامت دعاوى عديدة بخصوص أهمية نصوص إيبلا في إلقاء الضوء على العهد القديم. ولكن معظم هذه الدعاوى صدرت عن أناس لم يروا رُقم إيبلا ولا يعرفون قراءة نصوصها أو ترجمة لغتها، ولم يضعوا قدَماً في سورية. وإذا كنا نغفر لبيتيناتو الادعاءات المتسرعة التي تقدم بها بداعي حماسته للاكتشاف الجديد، فإننا لا يمكن أن نغفر لمن سار على خطاه، مثل أحد الباحثين الأستراليين الذي سارع عقب قراءة بيتيناتو إلى طباعة كتيب يدعي فيه أن إيبلا قد قدمت أخيراً البرهان القاطع على أن الكتاب المقدس على حق دوماً.

في مواجهة هذه الدعاوى التي لا تستند إلى أساس مكين علينا أن نؤكد بأن المجموعة الأولى من نصوص إيبلا قد أصدرها بيتيناتو باللغة الإيطالية عام 1980، وكانت قد وُضِعَتْ لتوها بين أيدي بقية الباحثين للتقصي والدراسة العلمية. وعليه فقد كان لا بد من مرور عشرين سنة أخرى لكي تكتمل عملية نشر النصوص كاملة، إذا كنا متفائلين جداً بخصوص إيقاع سير هذه العملية. وبتعبير آخر، فإن الصلة الفعلية بين إيبلا القديمة وبين أوغاريت والكتاب المقدس لن يمكن الحديث عنها بثقة قبل مرور سنين عديدة قادمة، وإن علينا أن ننتظر طويلاً قبل أن تغدو نصوص إيبلا معروفة لنا بالدرجة التي تسمح لنا بالتحدث عن صلتها وأثرها ببقية ثقافات الشرق القديم. لذا علينا دوماً أن نكون حذرين قبل إصدار أي دعوى بهذا الخصوص.

هذه الدعوة إلى الحذر تقودنا إلى ملاحظة أخرى سلبية. إنه لمن الخطأ

مكتبة الفكر الجديد

أن نركب عربة تذيع الموسيقى، من تلك المستخدمة في الاحتفالات، ترفع يافطة كتب عليها: «إيبلا تؤيد الكتاب المقدس»، وذلك لسببين. الأول هو إن الإدعاء بصحة وثيقة ما اعتماداً على بينة لم تُعاين شخصياً ولم تُدرس بما فيه الكفاية هو أمر على جانب كبير من الخطورة، فهو كارثي من المنظور الأكاديمي، وغير مسؤول من المنظور اللاهوتي والديني. أما السبب الثاني فنقول فيه إن مثل هذه الدعاوى تتخذ طابع التضليل، وهي تنتمي في جزء منها إلى اتجاه يسود العالم المسيحي المعاصر، يسعى إلى وضع اليد على أي شاهد ظاهري شكلي من شأنه دعم الإيمان المسيحي، سواء كانت أخشاب سفينة نوح، أو رُقُم مدينة إيبلا، أو كفن تورينو[1]. وهذا الاتجاه يجد أصوله في الإيمان الضعيف الذي يحاول تقوية ركائزه من خلال وضع اليد على أي «حقائق» تدعم مصداقية الكتاب المقدس بعد مضي كل هذه القرون، الأمر الذي يحوّل أمثال هذه الدعاوى إلى نوع من الحملة الدعائية مصممة من أجل دعم الحقائق الدينية. وفي هذا الخضم يموت «الإيمان» دونما حاجة إلى ورقة نعي. إن المفارقة الساخرة التي ينطوي عليها اليوم هذا الاتجاه في بعض أشكال التدين، تكمن في أن أصحابه قد يدعمون دعاواهم، ولكن من غير أن يحققوا أهدافهم. ذلك أن إثبات الصحة التاريخية لأحداث الكتاب المقدس، في حال إمكانية ذلك، لا يثبت الحقائق الأكثر أساسية في الكتاب والمتعلقة بما يقوله عن الله، فهذه المسألة تبقى دوماً موضوع الإيمان وهدفه.

وعلى الرغم من كل ما قدمناه سابقاً عن ملاحظات سلبية، وما قلناه عن ضرورة الحذر، فإن من الحماقة أن نذهب بعيداً في الاتجاه المعاكس. ذلك أن أية معلومة يمكن لنا استخلاصها من إيبلا سوف

(1) كفن تورينو هي قطعة كتانية يقال إنها كانت الكساء الذي كفن به السيد المسيح في أثناء دفنه. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

تساعدنا في توسيع معارفنا بتاريخ وحضارة سورية والشرق القديم. وهذه المعرفة بدورها هي جزء من السياق العام لدراسة كل من أوغاريت والعهد القديم.

2. مكتشفات رأس ابن هاني:

رأس ابن هاني هو نتوء بري في البحر المتوسط، يقع على مسافة أربعة أميال ونصف الميل تقريباً إلى الشمال من وسط مدينة اللاذقية، وعلى مسافة ميلين ونصف إلى الجنوب الغربي من خليج مينة البيضا المجاور لرأس شمرا. وهو يمتد إلى مسافة ميل ونصف الميل في البحر غرباً، مشكلاً خليجين إلى شماله وجنوبه. ويبدو أن رأس هذا النتوء كان في الماضي جزيرة منفصلة، ثم أدت حركة البحر الدائبة أخيراً إلى ردم الفجوة واتصال هذه الجزيرة بالنتوء الأم.

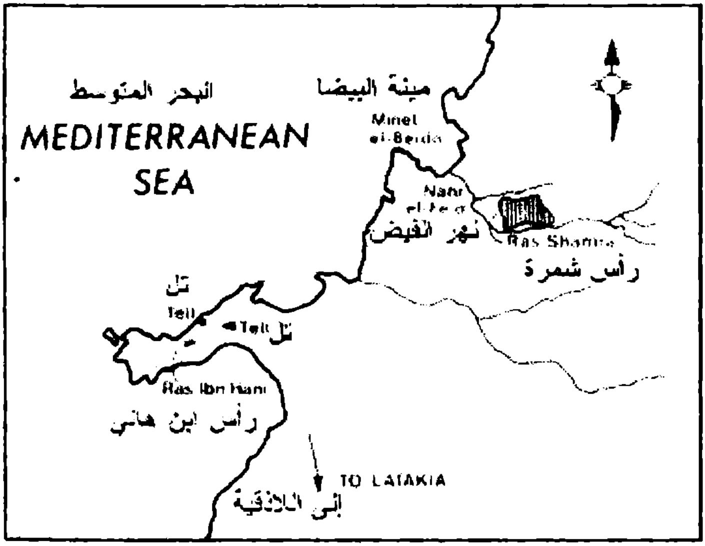

الشكل رقم (16): رأس ابن هاني

منذ وقت طويل كان الباحثون والسكان المحليون يعرفون بأن هذه المنطقة كانت مسكونة في الماضي البعيد. ففي كتاب له صدر عام 1927 (أي قبل اكتشاف رأس شمرا) ألمح رينيه دوساد إلى وجود بقايا بناء مسيحي في رأس ابن هاني يعود إلى العصر الروماني أو ما تلاه. كما أشار الباحث جبرائيل سعادة، في الجزء الأول من مؤلفه «تاريخ اللاذقية» الصادر عام 1964، إلى وجود عدد من التلال الصغيرة في المنطقة، ونبَّه إلى أهميتها المستقبلية كتلال أثرية. وفي عام 1973 تم اكتشاف مدفن سفلي على طرف أكبر التلال التي أشار إليها جبرائيل سعادة، وهو من الطراز الأوغاريتي.

مثل هذه الشواهد نبَّهت إلى أهمية إجراء تنقيبات أثرية في رأس ابن هاني. ثم صارت الحاجة ملحة إلى إجراء التنقيب في أواسط عام 1974، عندما بدأت الأبنية السكنية تمتد إلى المنطقة جرَّاء التوسع السكاني خارج مدينة اللاذقية، ووُضعت المخططات لبناء فندق سياحي ضخم على النتوء ذاته، كما وُضع حجر الأساس لهذا الفندق في احتفال حضره الرئيس السوري، إيذاناً ببدء العمل في هذا المشروع. ولكن ما أن بدأت الآليات عملها في جرف التربة تحضيراً لعمليات البناء حتى بدأت آثار بنى معمارية مدفونة تظهر تحت التربة السطحية مباشرةً.

أمام هذا الوضع الطاريء، تم اتخاذ إجراءات سريعة لإنقاذ آثار ابن هاني، فتم نقل موقع الفندق بعيداً عن المنطقة التي ستجري فيها التنقيبات، وشُكلت بعثة تنقيبية سورية- فرنسية مشتركة وأُعطيت الإذن للقيام بخمسة مواسم تنقيبية، وكانت برئاسة كل من عدنان البني عن سورية، وجاك لاغارس Jaques Lagarce عن فرنسا. في 13 تموز/ يوليو من عام 1975 جرى مسح الموقع، ثم باشرت الحملة التنقيبية أعمالها من 16 تموز/ يوليو إلى 31 آب/ أغسطس 1975. وكذلك الأمر خلال أشهر الصيف من السنوات التالية.

مكتبة الفكر الجديد

كشفت تنقيبات ابن هاني عن عدة مستويات آثارية، تؤشر إلى فترات سكن مختلفة في الماضي، وهي: 1- في التل الرئيسي وُجدت شواهد تدل على سكن من الفترة البيزنطية تعود إلى الفترة ما بين القرن الرابع والقرن السادس الميلاديين. 2- تحت هذه الطبقة وُجدت شواهد أثرية على سكن من الفترة الهيلينستية وذلك فيما بين القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد. 3- هناك مستوى سكني ثالث يعود إلى الفترة مابين القرن الثامن والقرن السادس قبل الميلاد، وهذا المستوى يحمل بوضوح طابع عصر الحديد الثاني. 4- أخيراً، وفي أدنى مستوى تم الوصول إليه هنالك شواهد على سكن من عصر البرونز الأخير معاصر لفترة ازدهار أوغاريت.

يحمل المستوى الآثاري الأدنى، الذي يعود إلى عصر البرونز الأخير، أهمية خاصة بالنسبة إلى دراسة أوغاريت. فقد تم العثور على عدد من الأبنية الضخمة التي دُمرت بعد عام 1200 ق.م بقليل، أي في نفس تاريخ دمار مدينة أوغاريت. ويبدو أن أحد هذه الأبنية كان قصراً صيفياً لملك أوغاريت نفسه، على ما تدلنا ضخامته وسعة أبعاده وحجم أساساته. ولكن من الواضح أن رأس ابن هاني قد احتوى في الماضي على بلدة مهمة، ولم يكن مجرد مقر صيفي للملك. ولعل هذه البلدة قد نمت ولعبت دور الميناء المساعد لمينة البيضا، ميناء أوغاريت الرئيسي، قبل اجتياحها ودمارها على يد شعوب البحر.

يطرح هذا الاكتشاف عدداً من المسائل المهمة لدراسة حضارة أوغاريت. فخلال عام 1977 و1978 تم العثور على عدد من الرُّقُم الفخارية مكتوبة بالمسمارية المقطعية الرافدينية وبالمسمارية الأبجدية الأوغاريتية. وهذه الرقم مكسورة ومتشظية في معظمها نتيجة لانهيار البناء الذي احتواها قبل ألوف السنين. وتتنوع موضوعاتها بين المسائل الاقتصادية والرسائل الإدارية والنصوص الدينية والطقسية. ولكن أهمية هذه النصوص لا تكمن

مكتبة الفكر الجديد

فقط في مضمونها وإنما أيضاً في دلالة العثور عليها هنا. فإذا كان رأس ابن هاني يمثل بلدة نموذجية من بلدات مملكة أوغاريت، فمن المحتمل جداً أن يعثر المنقبون في المستقبل على مجموعات مماثلة من الرقم تحت العديد من التلال التي تخفي تحتها بلدات أوغاريتية تنتظر الاكتشاف. وهذه النصوص التي ستكتشف في العديد من المواقع خارج أوغاريت العاصمة، سوف تقدم لنا عوناً كبيراً في تحقيق فهم أوسع لما كانت عليه الحياة في مملكة أوغاريت القديمة.

ومن القضايا المهمة التي تثيرها اكتشافات ابن هاني، ما يتعلق بإعادة استيطان الموقع عقب دماره مباشرةً، وهذا ما لم يحصل في أوغاريت. ويبدو أن فريقاً من شعوب البحر التي دمرت البلدة قد أعاد بناء أجزاء من المدينة بعد دمارها واستقر فيها. وهذه الأجزاء التي بنيت تشف عن عمارة متواضعة لا تضاهي العمارة السابقة، ولكنها تزودنا بشواهد فعلية على جانب صغير من جوانب حضارة أولئك البرابرة الذين زرعوا الفوضى والدمار على طول الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد. مثل هذه الشواهد المادية لم يكن في حوزتنا منها إلا القليل جداً قبل مكتشفات رأس ابن هاني.

أخيراً، فإن مكتشفات إيبلا ورأس ابن هاني، على ما تحمله من أهمية في حد ذاتها، إلا أنها ليست إلا نموذجاً للكنوز التي تنتظرنا تحت تراب التلال السورية. لقد ملأت مكتشفات إيبلا الكثير من الفجوات في خلفية أوغاريت وحضارة سورية القديمة، وبينت لنا مكتشفات ابن هاني أنه بعد مرور أكثر من خمسين سنة ما زال أمامنا الكثير لنعرفه عن حضارة أوغاريت. إن كل هذه المكتشفات وما ينتظرنا منها في المستقبل، سوف تزيد من معارفنا شيئاً فشيئاً عن العالم القديم الذي ازدهرت فيه حضارة أوغاريت.

مكتبة الفكر الجديد

إن معرفتنا بأوغاريت مهمة في حد ذاتها، وهي قطعة من فسيفساء الحضارة القديمة التي عملنا جزئياً على إعادة تركيبها، والتي ساهمت جزئياً في تكوين حضارتنا الحديثة.

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر الجديد

الفصل السابع

مرشد لمزيد من الدراسة والاطِّلاع

هذا الفصل الأخير هو بمثابة ملحق يحتوي على سلسلة من الملاحظات والتعليقات التي نهدف منها إلى تقديم العون لمن يريد التوسع في دراسة الموضوع. ولسوف نعمد أولاً إلى تقديم ملاحظات حول الموقع نفسه. وحول المتاحف التي تضم الوثائق المتعلقة بأوغاريت، وحول أهم المراجع بخصوص رأس شمرا. بعد ذلك سوف نعمد إلى تزويد القارئ بملاحظات وقراءات تفصيلية بخصوص فصول الكتاب الرئيسية، من الفصل 2 إلى الفصل 6.

1. رأس شمرا، الموقع:

يقع رأس شمرا على مسافة أميال قليلة إلى الشمال من مدينة اللاذقية، الميناء الرئيسي لسورية على البحر المتوسط. وتستطيع الانتقال إلى الموقع بركوب التاكسي مسافة قصيرة ولكنها مكلفة، حيث تجد حارساً في المناوبة يلعب دور الدليل أيضاً، يقدم لك العون في الاطلاع على أوابد المكان (إلا إذا كنت محظوظاً وجاء زيارتك إبان عمل البعثة التنقيبية). إن الوضع المادي الحالي لآثار أوغاريت بعد مرور أكثر من خمسين سنة على بدء التنقيب، وضع حسن ومثير للإعجاب حقاً. ومن المفضل أن تعطي نفسك بضع ساعات تتجول خلالها بين الأوابد وحول التل لتتلمس جو المكان وعبق الماضي. هنالك بعض البطاقات البريدية ونسخ من الرقيم الذي يحتوي على الأبجدية الأوغاريتية، متوفر في الموقع. وإذا تعبت من التجول ستجد على مسافة قريبة من التل مطعماً ممتازاً تتناول فيه الوجبات

مكتبة الفكر الجديد

السريعة أو المرطبات، وتجد في الوقت نفسه أن النادلين هم في الوقت نفسه خبراء في التنقيب!

فإذا أحببت قضاء يوم كامل في جولتك هذه، تستطيع زيارة رأس ابن هاني في طريق عودتك إلى اللاذقية. وسيقدم لك الفندق الفخم الجديد محطة ممتازة للراحة، لأن مكان التنقيبات يقع خلفه مباشرةً على الجزء المركزي والشمالي من النتوء البري. وكلاً من الفندق ومكان التنقيب يقعان في أقصى شمال مدينة اللاذقية في موقع ساحلي جميل[1].

2. المتاحف ومجموعاتها:

هنالك متحف صغير في مدينة اللاذقية ولكن محتوياته محدودة. لذا عليك التوجه إلى المتحفين الرئيسيين في سورية وهما متحف دمشق ومتحف حلب الجديرين بالزيارة، وكذلك متحف باريس الذي يضم عدداً مهماً من القطع الأثرية الأوغاريتية.

في متحف اللوفر هناك العديد من القطع الأثرية والنصوص، التي اكتشفت في رأس شمرا خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، عندما كانت سورية ما تزال تحت الانتداب الفرنسي. في القسم الأساسي من المتحف، الردهة رقم 18، تجد مجموعة جميلة من المعروضات الأثرية من رأس شمرا ومينة البيضا، بينها أنصاب حجرية، وقطع فنية عاجية، وأدوات محزوز عليها كتابات، وغيرها مما تجدر مشاهدته. ولكن الرقم الفخارية التي يحتفظ بها اللوفر غير معروضة للجمهور وإنما محفوظة في مستودعات القسم الإداري.

يحتوي كل من المتحف الوطني بدمشق والمتحف الوطني بحلب على

(1) ننوه أن الطبعة الأولى للكتاب الأصلي صدرت في العام 1983. (المترجم).

مكتبة الفكر الجديد

معروضات متنوعة من رأس شمرا. ذلك أن القطع المكتشفة بين عامي 1948 و1965 قد تم إيداعها في متحف دمشق؛ ومنذ عام 1966 أخذت القطع الجديدة المكتشفة تودع في متحف حلب إلى جانب المكتشفات القديمة لفترة ما قبل الحرب. ومن الجدير بالذكر هنا، أن كل القطع الأثرية المكتشفة يجب أن تبقى في سورية بحكم القانون. وقد بدأ سريان هذا القانون عقب الحرب العالمية الثانية.

هنالك رقيم واحد موجود في الولايات المتحدة الأمريكية هو الرقيم المعروف باسم رقيم كليرمونت، والذي تم شراؤه في فرنسا لصالح مؤسسة Antiquity and Cristianity في كليرمونت بكاليفورنيا.

3. البيبليوغرافيا:

خلال أكثر من خمسين سنة على اكتشاف أوغاريت، تراكمت كمية كبيرة من الكتابات الأساسية والثانوية حول الموضوع. ولعل مرشدنا البيبليوغرافي الرئيسي لهذه الكتابات هو: (Kurt Bergerhof, Manfried Dietrich, and Oswald Loretz, Ugaritiche Bibiliographie der jahre 1928-1966 (Neukirchen- Vluyn: Neukirchener)). يغطي المجلد الأول من هذا المرشد الكتابات الصادرة خلال الفترة من عام 1929 إلى 1950. ويغطي المجلد الثاني الفترة من 1950 إلى 1959. ويغطي المجلد الثالث الفترة من 1959 إلى 1966. أما المجلد الرابع وهو أكبرها فهو عبارة عن دليل (Index) مفصل للموضوعات وأسماء مؤلفيها، وما إلى ذلك.

وهنالك تغطية بيبليوغرافية حديثة يمكن مراجعتها في نشرة دورية تصدر ثلاث مرات في السنة منذ عام 1972 بعنوان News Letters For Ugaritic Studies، تحتوي على تفاصيل بخصوص المكتشفات الجديدة والتقارير الأثرية وتفاصيل بيبليوغرافية عن الأبحاث الجديدة. ويعاد إصدار

مكتبة الفكر الجديد

كل عشرة إصدارات من هذه النشرة في مجلد واحد يحتوي على إضافات جديدة تتعلق بالدليل وذلك للإبقاء عليها كمرشد بيبليوغرافي مفيد:

Peter C. Craigie, Ugaritic Studies I: 1972-1976 (Calgary, Alberta: Canadian Society of Biblical Studies- Society of Biblical Literature, section for Ugaritic Studies, 1976) and II: 1976-1979 (1980).

وسوف نفرد ما تبقى من هذا الملحق لمرشد يساعدنا على مزيد من الاطلاع بخصوص الموضوعات الرئيسية الواردة في هذا الكتاب.

4. **اكتشاف مدينة ضائعة**: ملاحظات على الفصل الثاني

نُشرت تقارير كلود شيفر المتعلقة بالموضوع، أول مانُشرت، في مجلة Syria وذلك ابتداءً من تقريره الأول المعنون:

«Les fouilles de Minet el-Beida et de Ras Shamra,» Syria 10 (1929): 285ff. More popular accounts were published in the national geographic Magazine, 58 (1930) and 64 (1933), and in the Illustrated London News, beginning with no. 4724 (November 2,1929).

هنالك دراسات مفصلة حول موضوع فك رموز الكتابة الأوغاريتية يمكن الاطلاع عليها في المقالات الثلاثة التالية:

Charles Virolleaud, «Le déchifferment des tablettes alphabétiques de Ras Shamra,» Syria 12 (1931): 15-23; Hans Baued, «Die Entzifferung des Keilshritft alphabets von Ras Shamra,» Forschungen und Fortschritte 6 (1930): 306-7 (this was the study received by Virolleaud in August 1930); Édouard Dhorme, «Un nouvel alphabet sémitique,» Revue Biblique 39 (1930): 571-77. More popular accounts may be found in Leo Deuel, the Treasures of Time (Cleveland: World, 1961); Maurice Pope, the story of Decipherment: Form Egyptian Hieroglyphic to Linear B (London:

مكتبة الفكر الجديد

Thames and Hudson, 1975); and David Kahn, The Code Breakers: The Story of Secret Writing (New York: Macmilan,1967).

أكمل دراسة شاملة حول رأس شمرا، تغطي فترة السنوات العشر الأوائل من التنقيب، تجدها في كتاب:

Robert de Langh's two- volume work, Les texts de Ras Shamra-Ugarit et leurs rapports avec le milieu biblique de l'ancien Testament (Paris: Desclée de Brouwer, 1945).

ولعل أكمل تغطية شاملة. لجميع مراحل التنقيب، وطبيعة المكتشفات، وحضارة أوغاريت تجدها في كتاب جبرائيل سعادة:

Gabriel Saadé, Ougarit: Métropole Cananéenne (Beirut: (Imprimerie Catholique, 1979).

5. **الحياة في أوغاريت:** ملاحظات حول الفصل الثالث

بخصوص التاريخ العام لأوغاريت راجع:

Mario Liverani Storia di Ugarit: nell' età degli archive politici (Rome: Cenrto di Srudi Semitici, 1962).

وبخصوص التاريخ الأشمل لتلك الفترة من التاريخ يمكن مراجعة:

William F. Albright, The Amarna Lerrers from Palestine, Syria, the philistines, and Phoenicia, the Cambridge Ancient History, 3rd de. (New York) 2 (1973): 98-116, 507-536).

وحول نهاية التاريخ الأوغاريتي انظر:

Michael C. Astour, «New Evidence of the Last Days of Ugarit,» American Journal of Archaeology 69 (1965): 253- 58).

وهنالك نص عام مفيد حول دولة أوغاريت كتبه:

Anson F. Rainey, «The Kingdom of Ugarit,» PP. 76-99 in Edward

مكتبة الفكر الجديد

F. Campbell, Jr., and David N. Freedman, eds., The Biblical Archaeologist Reader3 (Garden City: Doubleday,1970).

تقدم الدراسات التالية معلومات تفصيلية حول النواحي المختلفة للمجتمع والحياة في أوغاريت:

H. Frost, «The Stone Anchors of Ugarit,» Ugaritica 4 (1957): 235-245; Michael Heltzer, «The Metal Trade of Ugarit and the problem of Transportation of Commercial Goods,» Iraq 39 (1977): 203-211; The Rural Community in Ancient Ugarit (Wiesbaden: Reichert, 1976); E. Lipiński, «An Ugaritic Letter ot Amenophis III Concerning Trade with AlaŠiya,» Iraq 39 (1977): 213-17; Dennis Pardee, «The Ugaritic Text 2106: 10-18: A Bottomry Loan.» Journal of the American Oriental Society 95 (1975): 612-19; Anson F. Rainey «The Military Personnel of Ugarit,» Journal of Near Eastern Studies 24 (1965): 17-27.

وبخصوص ديانة أوغاريت انظر:

André Caquot and Maurice Sznycer, Ugaritic Religion (Leiden: Brill, 1980).

6. لغة وآداب أوغاريت، ملاحظات على الفصل الرابع

أفضل مرشد شامل للدراسات الأوغاريتية هو:

Cyrus H. Gordon's Ugaritic Textbook. Analecta Orientalia 38 (Rome: Pontificial Biblical Institute, 1965).

يحتوي هذا الكتاب الرائع على ترجمة لأهم النصوص الأوغاريتية، وعلى نصوص مختارة جرى تقديمها بالأبجدية الأوغاريتية، وعلى مسرد بالكلمات العسيرة مع شرح لها، ونبذة حول قواعد اللغة الأوغاريتية، وملاحظات حول طبيعة الأدب الأوغاريتي.

مكتبة الفكر الجديد

تم نشر الرُّقُم الفخارية الأوغاريتية في عدد من الكتب والدوريات عقب اكتشافها. وهنالك مرجعان رئيسيان بهذا الخصوص، الأول هو كتاب من مجلدين للباحث:

Andree Herdner, Corpus des Tablettes en Cunéiformes Alphabétiques (Paris: Imprimerie Nationale. 1963).

هذان المجلدان يحتويان على النصوص المكتشفة بين عامي 1929 و1939. في المجلد الأول من هذا الكتاب قدم المؤلف ترجمة للنصوص مع شروحات وبيبليوغرافيا. وفي المجلد الثاني قدم المؤلف نسخاً مكتوبة باليد عن النصوص المسمارية الأصلية مع صور فوتوغرافية للرُقُم.

أما المرجع الثاني بهذا الخصوص فأكثر جدة وشمولية. وهو يحتوي على ترجمة لجميع النصوص المكتشفة قبل عام 1976. انظر:

Manfried Dietrich and Oswald Loretz, Die Keilalphabetischen Texts aus Ugarit (Neukirchen- Vluyn: Neukirchener,1976).

هنالك عدد من الكتب المرشدة لدراسة النصوص الأوغاريتية. فلدراسة الكلمات، هنالك فهرس أبجدي قيم:

Richard E. Whitaker, A Concordance of the Ugarit Literature (Cambridge, Massachusetts: Harvard, 1972).

وهنالك فهرس بخصوص النُظُم المختلفة المستعملة في ترقيم النصوص:

Manfried Dietrich and Oswald Loretz, Konkordanz der ugaritischen Textzählung (Neukirchen- Vluyn: Neukirchener, 1972).

وبالإضافة إلى دليل الكلمات الصعبة (Glossary) الذي أعده Gordon والمذكور أعلاه، هنالك دليل أوغاريتي- ألماني من إعداد:

Joseph Aistleitner, Wörterbuch der ugaritischen sprache, 4th ed. (Berlin: Akademie, 1974).

مكتبة الفكر الجديد

هنالك ترجمات عديدة للنصوص الأوغاريتية إلى اللغات الحديثة. فقد أنجز Michael D.Coogan ترجمة سهلة وواضحة للنصوص الميثولوجية والأدبية الأوغاريتية:

Stories from Ancient Canaan (Philadelphia: Westminster, 1978).

وهنالك ترجمة إلى الإنكليزية لنماذج مختارة في:

Curus H. Gordon, Ugaritic Literature (Rome: Pontifical Biblical Institute, 1949).

أما الكتاب الذي لا غنى عنه لطلاب الدراسات الأوغاريتية فهو:

J.C.L. Gibson's Canaanite Myths and Legends, 2nd ed. (Edinburgh: Clark, 1978).

ويتضمن الكتاب أعلاه النصوص الأوغاريتية الأصلية على الصفحة اليسرى، يقابلها الترجمة الإنكليزية على الصفحة اليمنى المقابلة. كما يحتوي على مرشد للكلمات أوغاريتي - إنكليزي. وفيما يتعلق بالترجمات الفرنسية، فإن أهمها هو:

André Caquot, Maurice Sznycer, and Andrée Herdner, Texts Ougaritiques 1: Mythes et Légendes (Paris: Gditions du Cerf, 1974).

إضافةً إلى ما ذكرناه، هنالك العديد من الأبحاث التي احتوت على دراسات تفصيلية وترجمات لنصوص أوغاريتية معينة أهمها هو:

John Gray's The KRT Text in the Literature of Ras Shamra, 2nd ed. (Leiden: Brill, 1964).

7. الدراسات الأوغاريتية والعهد القديم: ملاحظات على الفصل الخامس.

هنالك عدد من المقدمات والدراسات العامة حول الصلة بين

مكتبة الفكر الجديد

أوغاريت والعهد القديم، بينها مقدمتان مهمتان على الرغم من أنهما غدتا قديمتين نسبياً:

Avid S. Kapelrud, The Ras Shamra Discoveries and the Old Testament (Oxford: Blackwell, 1963) and Charles E. Pfeiffer, Ras Shamra and the Bible (Grand Rapids: Baker, 1962). A similar volume is available in French: Edmond Jacob, Ras Shamra-Ugarit et l'Ancien Testament (Neuchâtel: Delachaux et Niestlé, 1060).

هنالك دراسة مشابهة ولكنها رائدة وأصيلة في حد ذاتها تجدها في:

John Gray's The Legacy of Canaan: The Ras Shamra Texts and their Relevance to the Old Testament, 2nd ed. Supplements to Vetus Testamentum 5 (Leiden: Brill, 1965).

ومن أجل نظرة عامة على الدراسات المقارنة بين أوغاريت والعهد القديم راجع:

Peter C. Craigie, «Ugarit and the Bible,» PP.99-111 in Gordon D. Young, ed., Ugarit in Retrospect (Winona Lake: Eisenbrauns, 1981).

الملاحظات التفصيلية التي سنوردها فيما يلي تزود القارئ بعناوين المراجع للتوسع والاستزادة في الدراسات المقارنة بخصوص الأمثلة التي أوردناها في الفصل الخامس.

(١) المزمور 29:

Harold L. Ginsberg «a Phoenician Hymn in the Psalter,» pp. 472-76 in XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti (Rome: 1935). Theodor H. Gaster, «Psalm 29,» Jewish Quorterlu Review 37 (1946-1947): 55-65. Frank M. Cross, Jr., «Notes on a Canaanite psalm in the Old Testament,» Bulletin of the American Schools of Oriental Research 117 (1950): 19-21. F. Charles Fensham, «Psalm 29 and Ugarit» pp.84-99 in studies On the Psalms (Potchefsrtoom,

south Africa: Ou Testamentiese Werkgemeenskap, 1963). Peter C. Craigie, «Psalm XXIX in the Hebrew Poetic Tradition,» Vetus Testamentum 22 (1972): 143-151; «Parallel Word Pairs in Ugarit Poetry: A Critical Evaluation of their Relevance for Psalm 29,» Ugarit Forschungen 11 (1979): 135-140.

(ب) عاموس الراعي: من الباحثين الإسكندنافيين الذين اقترحوا روابط دينية- طقسية للتعبير «ن ق د»:

Ivan Engnell, studies in Divine Kingship in the Ancient Near East, 2nd ed. (Oxford: Blackwell, 1967) and Erling Hammershaimb, The Book of Amos (Oxford: Blackwell, 1970).

من أجل منظور أوسع بخصوص الشواهد الأوغاريتية وصلتها بالتعبير الكتابي «ن ق د» راجع:

B. Cutler and J. MacDonald, «The Unique Ugaritic Text UT 113 and the question of 'guilds,' «Ugarit-Forchungen 9 (1977): 13-30, and Peter C. Craigie, «Amos the nōgēd in the light of Ugaritic,» Studies in Religion/ Sciences Religieuses 11 (1982): 29-33).

(ج) لاتطبخ جدياً بلبن أمه: حول خلفية هذا الموضوع راجع:

Charles Virolleaud, «La naissance des dieux gracieux et beaux: Poéme phénicien de Ras Shamra, «Syria 14 (1933): 128-151; Harold L. Ginsberg, «Notes on 'The Birth of the Gracious and Beautiful Gods,' «Journal of the Royal Asiatic Society (1935), pp. 45-72; Peter C. Craigie, «Deuteronomy and Ugaritic Studies,» Tyndale Bulletin 28 (1977): 155-16).

(د) المزمور ١٠٤: حول الخلفية العامة لهذا الموضوع راجع:

James H. Breasted, The Dawn of Conscience (1933; reprinted, New York: Scribener's, 1968), p. 368, and Eric W.Heaton, Solomon's New Men (New York: Pica, 1975).

مكتبة الفكر الجديد

وبخصوص الدراسات التفصيلية حول هذا الموضوع راجع:

Georges Nagel, «A propos des rapports du psaume 104 avec les texts égyptians,» pp. 395-403 in Walter baumgratner et al, eds. Festchrift Alfred Bertholet (tűbingen: Mohr, 1950), and Peter C. Craigie «The Comparison of Hebrew Poetry: Psalm 104 in the Light of Egyptian and Ugaritic Poetry,» Semitics 4 (1974): 10-21.

(هـ) الخلفية الموسيقية للمزامير: تم تسجيل الشريط الموسيقي للموسيقى الحورية الأوغاريتية من قِبَلْ:

Anne D. Kilmer, Richard L. Crocker and Robert R. Brown, «Sounds from Silence: Recent Discoveries in Ancient Near Eastern Music» (a Booklet and twelve- inch stereo record; Berkeley: Bīt Enki, 1977).

وقد نشر الرقيم للمرة الأولى Emanuel Laroche في دورية Ugaritica 5 عام 1968، الصفحات 463-464. وبخصوص مضامين هذا التسجيل بالنسبة إلى المزامير راجع مقدمة كتاب:

Peter C. Craigie, The book of Psalms 1 (Waco: Word, 1982).

(و) الحوريون والعبرانيون والعهد: المقترحات بخصوص تفسير النص الحوري قدمها:

Peter C. Craigie, «El. BRT.EL.Dn (RS.24.278, 14-15), «Ugarit Forchungen 5 (1973): 278-79).

ومن أجل مزيد من التحليل انظر:

Kenneth A. Kitchen, «Egypt, Ugarit, Qanta and Covenant,» Ugarit Forschugen 11 (1979): 453-464.

وحول الخلفية المصرية لفكرة العهد انظر:

Craigie, The Book of Deuteronomy. New International Commentary on the Old Testament (Grand Rapids: Eerdmans, 1976), pp. 79-83.

مكتبة الفكر الجديد

(ز) السفن في سفر القضاة - 5: الاقترح المبدئي قدمه:

john Gray, Joshua, Judges and Ruth (London: Nelson, 1967), pp.287-88.

كما قدم الشواهد الإضافية:

Peter C. Craigie, «Three Ugaritic Notes on the song of Deborah, «Journal for the study of the Old Testament 2 (1976): 33-49.

(هـ) أوغاريت والعبرانيون والإغريق: حول العلاقة بين الحضارتين الأوغاريتية واليونانية انظر:

T.B.L. Webster, From Mycenae to Homer (New York: Norton, 1964), and P. Walcot, «The Comparative Study of Ugaritic and Greek Literature, «Ugarit- Forschungn 1 (1969): 111-18; 2 (1970): 273- 75; 4 (1972): 129-133).

وحول النموذج الإغريقي لإشعيا 14 انظر:

J.w. Mckay, «Hlel and the Dawn- Goddess,» Vetus Testamentus 20 (1970): 451- 464.

وحول الخلفية الأوغاريتية لإشعيا 14 انظر:

Peter C. Craigie, «Helel, Athtar and Phaethon (Jes 14 12-15), «Zeitschrift fur die alttestamentliche Wissenschart 85 (1973): 223-25.

(ط) بعل وسفر الخروج: من أجل تحليل أكمل للخلفية الأوغاريتية- الكنعانية لأنشودة البحر انظر:

Cross Jr., «The Song of the Sea and Canaaite Myth, «Journal for Theology and the Church 5 (1968): 1-25, and Peter C. Craigie, «The Poetry of Ugarit and Israel,» Tyndale Bulletin 22 (1971): 19-26.

8. **مكتشفات جديدة:** ملاحظات على الفصل السادس

(أ) إيبلا: قصة اكتشاف إيبلا تقرؤها في:

مكتبة الفكر الجديد

Chaim Bermont and Michael Weitzman Ebla: A Revelation in Archaeology (New York: Times Books, 1979).

ومن أجل التوسع في موضوع مضامين اكتشاف إيبلا بالنسبة إلى أوغاريت والعهد القديم انظر:

Giovanni Pettinato, «Ebla and the Bible, «Biblical Archaeology Review 6/6 (1980): 38-41; Mitchell Dahood, «Ebla discoveries and biblical research, «The Month 13 (1980): 275-281; «Eblaite, Ugaritic, and Hebrew Lexical Notes, «Ugarit- Forschungen 11 (1979): 141-64; R. Althann, «The Impact of Ebla on Biblical Studies», Religion in Southern Africa 2/1 (1981) Peter C. Craigie, «The Bible and Archaeology, «Chelsea Journal 3/4 (1977): 261-63. More detailed bibliographical reference may be found in the newsletter of Ugaritic Studies (see section 3. above).

(ب) رأس ابن هاني: تقارير التنقيب الأولى نشرها:

Adnan Bounni, Elisabeth and Jacques Lagarce, and Nassib Saliby, «Rapport Préliminaire sur la premiére campagne de fouilles (1976) à Ibn Hani (Syrie), «Syria 53 (1976): 233-279, and «Rapport préliminaire sur la deuxiéme campagne de fouiles (1976) à Ibn Hani (Syrie), «Syria 55 (1978): 233-311).

وقد ظهرت بعض الدراسات الأولية والمؤقتة لنصوص ابن هاني. راجع بهذا الخصوص:

Andre Caquot, in L'Annuaire du Collége de France 79 (1977-1978).

في هذا الإصدار 79 المذكور أعلاه من هذه الدورية قدم لنا Caquot ترجمات لبعض النصوص المكتشفة عام 1977، وملاحظات حولها. وفي الإصدار 80 (1978-79). فعل الشيء نفسه بخصوص النصوص المكتشفة في عام 1978.

مكتبة
الفكر الجديد

بيتر كريغ

باحث بريطاني في تاريخ الكتاب المقدس.

ولد في مدينة لانكستر عام 1938.

حصل على عدة شهادات من جامعة ماكماستر في كندا وكارلتون في كندا وإدنبرة في إيرلندا، من ثم عمل فيها مدرّساً.

صدرت له عدة كتب ومقالات عن تاريخ العهد القديم وحضارة أوغاريت وعن العلاقة والتأثر بينهما.

توفي في العام 1985 بحادث سيارة في كندا.

فراس السواح

باحث سوري في الميثولوجيا وتاريخ الأديان، من مواليد حمص 1941.

صدرت له عشرات الكتب والأبحاث في الميثولوجيا وتاريخ الأديان وعلم الأديان المقارن والدراسات القرآنية، بالعربية والإنكليزية، ومؤخراً بالصينية، لعلَّ أبرزها «مغامرة العقل الأولى» و«دين الإنسان» و«لغز عشتار».

كرَّمته جهات عديدة خلال مسيرته.

يعمل الآن أستاذاً في جامعة بكين للدراسات الأجنبية، حيث يدرِّس مادَّتي «تاريخ الحضارة العربية» و«تاريخ أديان الشرق الأوسط».

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر الجديد

حملة نيدابا لدعم التعليم والقراءة

مئات آلاف الضحايا، والمدن المدمرة، ليس الثمن الوحيد الذي دفعه السوريون في الحرب التي أنهكت بلدهم. في ظل غياب المدارس في كثير من المناطق السورية المشتعلة، وفي ظل لجوء مئات آلاف الأطفال مع أسرهم خارج البلاد، تبدو مشكلة التعليم واحدةً من أهم المشكلات التي تواجه السوريين اليوم ومستقبلًا، وخاصة فيما يتعلق بالأطفال السوريين المتواجدين في مخيمات اللجوء في الدول المجاورة.

صنفت الكارثة السورية كأحد أكبر الكوارث الإنسانية منذ الحرب العالمية الثانية، اقتصر الدعم الدولي والإنساني على تغطية الحاجات الأساسية للبقاء من غذاء وتدفئة وطبابة وضمن حدودها الدنيا، وأصبح الاهتمام بالتعليم أو المشاريع الثقافية من ضمن الرفاهيات التي لا يوجد إمكانيات لتغطيتها.

تأتي هذه الحملة من كتّاب ومؤلفين وفنانين سوريين محاولةً لدعم مشاريع تعليم الأطفال السوريين في المخيمات على قلتها، ومحاولةً للفت النظر إلى كارثة مستقبلية لجيل كامل غير متعلم من أطفالنا، ما لم تُعطَ هذه القضية حقها.

قدم المساهمون في الحملة كتبهم وتصاميمهم دون مقابل مادي إلى دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، التي تقوم بنشر وتوزيع هذه الكتب،

مكتبة الفكر الجديد

لتعود كامل أرباح هذا المشروع إلى دعم مشاريع التعليم البديلة في المخيمات ودعم مشاريع إنشاء مكتبات في أماكن اللجوء والنزوح داخل وخارج سوريا.

في المرحلة الأولى سيتم التعامل مع منظمة بسمة وزيتونة ومنظمة ألفابيت للتعليم البديل، ونرغب في توسيع هذا المشروع ليشمل جميع مخيمات اللجوء ومراكز النزوح.

قد تبدو نتيجة هذا الجهد صغيرة بالنسبة إلى حجم الكارثة المحيطة بنا وغير كاف لإحداث أثر فعلي على الأرض، لكنه جهد صادق من جميع المساهمين في الحملة، على اختلاف مشاربهم ومواقفهم الفكرية والسياسية، لعلّنا نستطيع مد أيدينا إلى أطفالنا اللاجئين، وكلنا أمل أن يصلوا بنا يوماً ما بعلمهم وثقافتهم إلى مستقبل أفضل.

تم اختيار اسم نيدابا كرمز للحملة، وهي إلهة الكتابة عند السومريين ويمتد تأثيرها إلى بلاد الشام. وذلك أنه في الحرب التي تدور في سوريا، أغلب الفصائل المتقاتلة تستصرخ رموزاً تاريخية في تأجيج هذه الحرب، فكان أن اخترنا رمزاً تاريخياً من منطقتنا أيضاً لكن كي نستصرخ في سبيل دعم التعليم والقراءة.

حملة نيدابا

دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع

من النادر اليوم ألا نجد في الشروحات والتعليقات على كتاب العهد القديم إشارات متعددة إلى مواقع أثرية، مثل قُمران قرب البحر الميت وأوغاريت على الساحل السوري قرب مدينة اللاذقية. إن موقع قُمران صار اسماً معروفاً إلى حدٍّ ما، أما موقع أوغاريت الذي لا يقل عنه أهميةً، فلم يحظَ بالشهرة التي حظي بها قُمران على الرغم من أن اكتشافه قد ساهم إلى حدٍّ كبير في إعادة ترجمة وتفسير الكثير من كلمات ومقاطع كتاب العهد القديم. وهذا ما دعاني إلى وضع هذا الكتاب الصغير الذي يبحث في حضارة مدينة أوغاريت القديمة وميراثها. لقد كانت أوغاريت واحدةً من مدنٍ كثيرة ملأت عالم الكتاب المقدس، ولكن أهميتها تكمن في تلك الثروة من النصوص الأدبية التي أضافت الكثير إلى معلوماتنا عن عالم الكتاب المقدس، وإلى درجةٍ فاقت ما قدمه أي موقعٍ أثري آخر في شرقي المتوسط، وساعدت على ملء الفجوات بين العالم القديم والعالم الحديث.

مكتبة
الفكر الجديد
15-06-2017

ISBN 978-9933-540-17-3
9 789933 540173 >
دار ممدوح عدوان للنشر و التوزيع